السبت 13 آب 2022
العدد 4700 السنة السادسة عشرة
Samedi 13 AOÛT 2022 nº 4700 16ème année

24 صفحة
10000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

ت. س. إليوت
سأريك الخوف في كمشة غبار

تجديد عقد الفيول العراقي: ساعات التغذية على حالها [3]

الهدنة بين فرنجية وباسيل سقطت؟
رئيس الحكومة: لشو الحكومة؟! [2]

(أ ف ب)

البلاد

أهل الأرض
يا فدائي... لا تقلق ريثما نصل إليك
[12]

بريد حنظلة
العالم لا يرانا
[13]

وجوه
أشرف القيسي: لا أستحقّ مقابلة صحافية!
[14]

قضية اليوم

رئيس الحكومة: «لشو الحكومة»؟

في بلد لا تزيد فيه ساعات التغذية الكهربائية عن ساعة واحدة كل يومين أحياناً، ولم يعد أمام المودعين في مصارفه إلا اللجوء إلى «السطو المسلح» لاستعادة فتات من أموالهم، يحرّم رئيس الحكومة حقائبه لقضاء إجازة خاصة بين كان الفرنسية والسواحل الإيطالية، بعيداً عن هموم رواتب موظفي القطاع العام وفقدان أدوية السرطان وانفلات الأسعار من عقالها، ومن دون بذل أدنى جهد لتشكيل حكومة كاملة الصلاحيات تعمل على معالجة الأزمات المعيشية المتفاقمة.

لم يعد الرئيس المكلّف نجيب ميقاتي يخفي، في مجالسه الخاصة والعامة، عدم حماسته لتشكيل حكومة يقول إنه سيكون عليها أن تواجه اتخاذ قرارات «غير شعبية». إذ نقل وزراء عن ميقاتي قوله، في اجتماع وزاري عُقد أخيراً، «لشو الحكومة؟»، رداً على سؤال أحد الوزراء عن آخر التطورات في موضوع التشكيل. علماً بأنه، منذ تكليفه في 23 حزيران الماضي، أكّد لعدد من الوزراء «أننا باقون معاً»! ومنذ تقديمه تشكيلة «رفع العتب» الحكومية إلى رئيس الجمهورية ميشال عون، في 29 حزيران الماضي، بعد ستة أيام من التكليف، غاب «المكلّف» عن السمع نهائياً

> **ميقاتي في إجازة بين كان الفرنسية والسواحل الإيطالية**

معتبراً الحكومة «لزوم ما لا يلزم»، ولم يكلّف نفسه مراجعة رئيس الجمهورية للبحث معه في محاولة إدخال تعديلات على الأسماء أو الحقائب وإقناع عون بوجهة نظره. وفضّل انتظار نهاية العهد في 31 تشرين الأول المقبل، استناداً إلى «فتوى دستورية» أعدّها الخبير الدستوري الدكتور حسن الرفاعي، تؤكّد أن في إمكان حكومة تصريف الأعمال تسيير شؤون البلاد في ظل الفراغ الرئاسي المرتقب، سنداً إلى المادة 62 من الدستور التي تنقل إلى الحكومة ممارسة السلطة التنفيذية كسلطة تنفيذية وكوكيلة عن صلاحيات رئيس الجمهورية.

وبحسب المعلومات، فقد ناقش رئيس الحكومة الأمر مع رئيس مجلس النواب نبيه بري. كما أبلغ ذلك إلى أحد الوزراء المقربين من عون، وسمع منه أن لدى فريق رئيس الجمهورية، في المقابل، فتاوى دستورية تمنع حكومة تصريف الأعمال من تولي سلطات في حال حصول شغور في موقع الرئاسة.

وفي انتظار ذلك، يتّبع رئيس الحكومة سياسة تسيير الحكومة بالمفرّق، عبر تشكيل لجان وزارية متخصصة لمتابعة بعض القضايا، كلجنة الأمن الغذائي ولجنة متابعة شؤون موظفي القطاع العام وغيرهما. وهو أبلغ عون وبري وحزب الله استعداده لعقد جلسات وزارية حول ملفات محددة، ولكن ليس جلسة موسعة.

(الأخبار)

تقرير

الهدنة بين فرنجية وباسيل سقطت؟

ميسم رزق

لم تدُم كثيراً مفاعيل لقاء المُصالحة الذي جمع رئيس «التيار الوطني الحر» النائب جبران باسيل ورئيس «تيار المردة» سليمان فرنجية، برعاية الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله، في أيار الماضي. يومها، تُرك لفرنجية فرصة لـ «فشّ خَلقه» وإخراج كل ما «بلعه» على مدى سنوات ووصفه بمحاولة إلغائه من قبل «الحلفاء»، وذهب هو بعيداً في كشف عتبه بحيث «لم يترك ستراً مغطّى». في تلك الجلسة، التي أتت قبل الانتخابات النيابية بأيام، استوعب باسيل «المعاتبة» من دون أن يردّ عليها، إلى أن هيّئ للجميع أن بالإمكان «فتح صفحة جديدة بينهما»، كما قال فرنجية بعدَ ذلك.

ولفترة وجيزة، ما حصل فعلاً، هو التزام الطرفين بهذه المصالحة. غالبية الذين كانوا يلتقون بباسيل وفرنجية، لمسوا حرصاً شديداً على عدم خرق «الهدنة السياسية والإعلامية»، لا بل التشديد على الاستفادة من تداعيات الخلاف على فريق 8 آذار وما حصل في الانتخابات الأخيرة وأخذ العبر منه لعدم تكراره في السنوات المقبلة، بخاصة في ظل انهيار البلد.

صحيح أن الهدنة لم تسقُط في العلن، إلا أن الحديث عن عودة «الخلاش» بينهما يزداد يوماً بعد يوم، بخاصة أن فرنجية عجّل في حراكه الرئاسي

> **عودة الحدّة إلى أحاديث الطرفين عن بعضهما البعض**

أخيراً، وإن ليس بشكل معلن فيما يرفض باسيل بالمطلق الاتفاق معه على موضوع الرئاسة، حتى ولو أنه يدرك أن حظوظ منافسه تتقدم على حظوظه.

من خلف الضباب الذي يملأ المشهد اللبناني حيال الملف الرئاسي، تتراكم المؤشرات اليومية حول صعوبة أن يصل هذا الاستحقاق إلى خاتمة سعيدة، في ظل عقبات رئيسية باتت متشابكة: الأولى، الاشتباك الإقليمي الدولي الذي يمنع وصول رئيس توافقي وسطي، ما سيدفع كل فريق لأن يتمسّك برئيس من حصته. والثاني، يتمثل في قدرة أكثر من طرف على تعطيل أي جلسة لانتخاب رئيس، في ظل غياب القدرة على التوافق. أما العقبة الثالثة، فتتصل بغياب المكون السنّي الرئيسي الذي يشكّل معبراً للانتخابات الرئاسية، فضلاً عن عدم تأمين «الميثاقية» المسيحية بحيث أن الخلافات الحادة تمنع أي مرشح من الحصول على «كوتا» من الأصوات المسيحية «المُشرعنة» لانتخابه.

لكن ليست سلّة التعقيدات هذه وحدها ما قد يجعل من الانتخابات الرئاسية، استحقاقاً مع وقف التنفيذ. ففي رأي مصادر متابعة، لبّ المشكلة ليس في الخصومة بين فريقي ما يعرف بـ 8 و14 آذار، أو الحاجة فقط إلى تسوية من تلك التي صاغها الرئيس سعد الحريري مع الرئيس ميشال عون عام 2017. بل ينطلق هذه المرة من فريق حزب الله وحلفائه حيث القدرة على التوافق على مرشّح واحد «شبه مستحيل». والأصح القول إن «صياغة اتفاق بين باسيل وفرنجية هو «من رابع المستحيلات». فلا باسيل «مقتنع بدعم فرنجية أو موافق عليه»، ولا فرنجية «يُمكن أن يقبل بعقد شروط يجعل منه رئيساً شكلياً فيما يكون باسيل هو الحاكم الفعلي للعهد الجديد»، مع العلم أن «أحداً منهما لا يُمكن أن يدخل بعبدا من دون مباركة الآخر، في ظل (حُرمة) الاتفاق مع رئيس القوات سمير جعجع». وإن كان البعض، يتعهّد لفرنجية بإمكانية تأمين «65 صوتاً» له!

حتى الآن، لم يخرُج شيء إلى العلن يؤكّد سقوط الهدنة بين باسيل وفرنجية، لكنه حصل بالفعل. يُقال إن السبب الرئيسي وراء ذلك، كلام وصل إلى مسامع باسيل من مقربين لفرنجية مسيء في حق الأول. مصادر على مقربة منهما أكدت الخبر، لكنها أشارت إلى أن «عودة التوتر لا يُمكن أن تكون مرتبطة برمي كلمة من هنا وهناك». لكن كل تريّث إضافي من قِبَل حزب الله في الإعلان عن دعم أحد، يُقابَل بـ «ردود فعل غير محسوبة تزيد من الانقسام حول هذا الملف». وردود الفعل تظهر في الحدة التي تتسم بها أحاديث الطرفين عن بعضهما البعض.

ثمة انطباع في الكواليس السياسية أن الخلاف سيبدأ بالظهور تباعاً في الأسابيع القليلة المقبلة، مع بدء العدّ التنازلي لانتخاب رئيس للجمهورية، وسرعان ما سينفجر «الودّ الملغوم» بينهما بحيث سيُضاعف على حزب الله صعوبة هذا الاستحقاق، إن حصل في موعده، إذ إن الخلاف قد يؤدي إلى تعادل سلبي ما بين باسيل وفرنجية، ويكون الفوز من نصيب مرشّح ثالث.

(هيثم الموسوي)

تقرير

القضاء «ينيّم» الدعاوى ضدّ المصارف

ندى أيوب

اقتحام مصرف، «فدرال» أو غيره، لإجبار البنك على تسديد الوديعة، لم يكن خياراً لو أن القضاء اللبناني أصدر في السنوات الثلاث الماضية أحكاماً تنصف أصحاب الحقوق. فحتى الآن، أثبتت التجربة أن المسار القضائي ليس فاعلاً أو منتجاً، ولا سيما مع وحوش من نوع المصارف ذوي نفوذ. إذ إن غالبية الأحكام التي استصدرها المودعون ضدّ المصارف بواسطة القضاء الابتدائي، توقفت في مرحلتَي الاستئناف والتمييز حيث بات البتّ فيها أصعب طالما أنها أصبحت بيد قضاة أعلى «رتبة» في هيكلية نموذج الحكم القائم.

بحسب أرقام مصدرها لجنة الرقابة على المصارف لعام 2021، فإن نحو 20 حساباً في لبنان ضمن شريحة الـ 150 مليون دولار وما فوق، يملكون نحو 5,2 مليارات دولار من الودائع، وأن 0,03% من الحسابات التي فيها أكثر من 10 ملايين دولار فيها 27 مليار دولار أو ما يوازي 22% من مجموع الودائع بالليرة والدولار. وفي المجمل فإن الفئة (ب) من المودعين الذين يملكون أكثر من 200 ألف دولار (وما فوق 150 مليون دولار في الحساب الواحد) ونسبتهم من عدد الحسابات تبلغ 4,83%، يستحوذون على 71% من الودائع، في مقابل 95,1% من الحسابات المصرفية التي لا يزيد فيها الحساب الواحد على 200 ألف دولار، تستحوذ على 29% من مجموع الودائع البالغ 125,1 مليار دولار.

وهذا التركّز كان سمة ملازمة للقطاع المصرفي في لبنان منذ عقود، إلا أنه بين نهاية 2019 ونهاية 2021، سجّل انخفاض في قيمة الودائع بنحو 52 مليار دولار. وسجّلت الفئة (أ)، أي ما يسمى صغار المودعين انخفاضاً بقيمة 4,6 مليارات دولار، مقابل انخفاض في الفئة (ب)، أي ما يسمّى كبار المودعين، بقيمة 22 مليار دولار. إذ أتيح للكبار أو لبعض منهم، تهريب ودائعهم إلى جانب تهريب ودائع المساهمين وأصحاب المصارف. أما من لا يملك شبكة مصالح وعلاقات مع المصارف، فقد اختار المسار القضائي وزُفعت مئات الدعاوى في لبنان وأُلتي لم يصدر فيها أحكام لغاية اليوم، مقابل دعاوى قليلة في الخارج ربحت في غالبيتها ضدّ المصارف.

يلفت رئيس الجمعية اللبنانية لحقوق المكلفين المحامي كريم ضاهر، إلى الفرق بين القضاء المحلي والأجنبي «في المعركة بوجه المصارف لا أحكام قضائية مبرمة بعد الاستئناف، والتمييز تنصف المودعين، بينما القضاء الأجنبي يأخذ القرارات بسرعة خيالية للمودعين المقيمين في الخارج والذين يستردون أصل الوديعة والفوائد». ورغم صدور «قرارات شجاعة لقضاة في القضاء المستعجل وبعض محاكم الأستئناف وقرارات قليلة في محاكم التمييز، إلا أنها لم تشكّل مساراً كافياً يبنى عليه للقول إن القضاء حمى المودعين». ويشير ضاهر إلى أن «الجسم القضائي اتّجه في بداية الأزمة ليكون متعاطفاً إلى جانب المودعين، لكن لاحقاً بدأنا نرى تمييعاً للملفات واتخاذ قرارات ضدّ المودعين».

كلام ضاهر يفسّر جانباً من الحلول الفردية التي يلجأ إليها بعض المودعين. فهؤلاء، لا يرون في المسار القضائي مساراً منصفاً، بل يرون أن المصارف استردّت نفوذها وبدأت تلمّع صورتها تجاه الذين قاطعوها في الفترة الماضية، أو أقله لم يكونوا بحماسة الترويج لها ولخططها وإشاعة مظلوميتها كما الحال اليوم. هذا ما ساعد، برأي ضاهر، في «عدم تطبيق القوانين، وتخاذل الدولة عن القيام بدورها من سلطات تنفيذية وتشريعية وقضائية، وسمح للمرتكبين بالحفاظ على نفوذهم وقوتهم واستغلال مراكزهم مجدداً».

في هذه الفترة، سجّلت رابطة المودعين تقديم 400 دعوى قضائية نيابة عن مودعين بعناوين متعدّدة؛ منها إعادة فتح حساب، وتسديد قروض على السعر الرسمي للصرف (1500 للدولار)، وتحويل إلى الخارج، واسترداد ودائع. لكن يُلاحظ أن الدعاوى التي ربحتها لم تكن تلك

> **في المعركة بوجه المصارف لا أحكام قضائية مبرمة بعد الاستئناف والتمييز تنصف المودعين**

المتعلّقة باسترداد الودائع التي بقي معظمها بلا أحكام ولم تصل إلى أي نهايات، علماً بأن بعضها قُدّم أمام قضاء العجلة. ووفق المحامي فؤاد الدبس عضو الرابطة فإن «الجواب يكون غالباً بضرورة إعادة البحث في القضية وردّها إلى قضاء الأساس، وما قبل من دعاوى استرداد ودائع في قضاء العجلة والأساس، توقف في مرحلتَي الاستئناف والتمييز. حتى التغيير على صعيد الاجتهاد لمصلحة المودعين الحاصل في الشهرين الأخيرين لا يزال طفيفاً».

هذه السطوة المصرفية مقابل الارتهان القضائي سمحت للمصارف بأن تطرح أفكاراً مثل المحكمة الخاصة، ووضع اليد على أملاك الدولة عبر الصندوق السيادي، وتمرير قانون السرية المصرفية مشوّهاً فارغاً من مضمونه، والسعي لإقرار قانون «كابيتال كونترول» يناسب المواصفات التي تطلبها. وطالما أن جزءاً كبيراً من القضاة مرتهن للكارتيل نفسه ومن خلفه من سياسيين «ستبقى الصورة العامة فيها خلل فاضح كالقائم اليوم من إصدار الأحكام إلى التدخل في السياسات المالية والاقتصادية والنقدية» برأي الدبس، الذي يعتبر أن «الحلّ يجب أن يكون شاملاً، كخطة تعافٍ عادلة كاملة شفافة تشكّل حداً للمجتمع ككل».

أما اللجوء إلى الشارع فهو خيار أساسي ودائم، «نتفهم ونقف إلى جانب أمثال بسام الشيخ حسين، وعبد الله الساعي، لكننا لا نشجع الحلول الفردية بهذا الشكل». فما بعد الانتفاضة بأسابيع قليلة، فقد الشارع زخمه ولم يعد إلى حيويته رغم تعمّق الأزمة. هنا يعيد ضاهر الأمر إلى «الثقافة الاقتصادية الريعية التي سادت لثلاثة عقود وعلّمت اللبنانيين على عدم المبادرة، واعتبار الفرد أنه غير مؤهّل لإحداث أي تغيير أو تطوير، طالما الاعتماد والاتكال بات هو النمط السائد».

(مروان بوحيدر)

تقرير

تجديد عقد الفيول العراقي: الكهرباء على حالها

قرّر العراق أن يجدّد عقود توريد الفيول إلى لبنان لزوم معامل الكهرباء من دون زيادة الكمية وأبقائها ضمن مستوى مليون طن في السنة. ما يعني أن المعامل لن تطفأ بل ستبقى عاملة وفق الوتيرة التي سجلت في السنة الأخيرة. أي اقصاها أربع ساعات كهرباء خارج الخزوة وساعتان في الخزوة

يصل غداً إلى لبنان وفد عراقي في زيارة تمتد ليومين عنوانها «التفاوض مع الجانب اللبناني لغرض الاستفادة من المبالغ المودعة في المصارف اللبنانية». وأبدت السلطة العراقية رغبتها في لقاءات مع الأطراف اللبنانية الآتية: رئيس مجلس الوزراء نجيب ميقاتي، وزير الطاقة وليد فياض، حاكم مصرف لبنان رياض سلامة. فمن البديهي أن تكون الزيارة مخصصة لآلية إنفاق الأموال التي يفترض أن لبنان سدّدها للعراق ثمن الفيول المستورد بموجب العقد الأخير القاضي بتزويد لبنان نحو مليون طن لزوم تراكم للعراق نحو 550 مليون دولار، يفترض أن يتفق على تسديدها من خلال خدمات يقدّمها الجانب اللبناني للعراقيين في المستشفيات الحكومية، وفي تسديد رسوم الطيران العراقي، وفي مجال التربية والتعليم أيضاً. والأمر ينسحب أيضاً على المبالغ التي ستتأتى من تجديد العقد بمليون طن إضافية من الفيول على مدى الأشهر الـ12 المقبلة.

في الواقع، تأتي زيارة الوفد العراقي بعد موافقة مجلس الوزراء العراقي على تجديد عقد توريد الفيول إلى لبنان. ورغم أن لبنان أصرّ على إجراء تعديلات على العقد تتضمن زيادة الكميات، إلا أن العراق لم يوافق، ما يعني أن توريد مليون طن بموجب آلية التسديد السابقة. بعض التفسيرات تشير إلى أن نظرة الطرف العراقي إلى العقد تنطلق من كون الكميات المخصصة للبنان بمثابة «هبة» قياساً على آلية التسديد بالليرة اللبنانية وإنفاق المبالغ المحصلة في لبنان. لكن الأمر بالنسبة للبنان، هو أكثر من ذلك، بل يعدّ بمثابة خشبة خلاص من

> **عقد اجتماع لإجراء عملية إعادة توزيع الكهرباء المنتجة بواسطة مؤسسة الكهرباء ومصلحة الليطاني**

إطفاء معامل إنتاج الكهرباء نهائياً. ففي الأشهر الـ12 الماضية، أي مع توقيع عقد الفيول العراقي، أتيح للبنان إنتاج ما بين ساعتين وأربع ساعات من الكهرباء يومياً بواسطة هذه الكميات. إنما في الأشهر الأخيرة، ولا سيما بعد انفجار الأزمة الروسية - الأوكرانية وانعكاساتها ارتفاعاً في أسعار النفط، لوحظ أن الكميات الواردة إلى لبنان انخفضت. والسبب هو أن لبنان يحصل على كمية ثابتة من الفيول العراقي، إنما بمواصفات غير مطابقة لمواصفات الفيول المستعمل في معامل الإنتاج. بالتالي كان على لبنان أن يقايض هذه الكمية مع كميات أخرى تحمل مواصفات أغلى سعراً. في البداية، أي قبل الأزمة الروسية - الأوكرانية، كان لبنان يحصل شهرياً على 80 ألف طن ويقايضها بنحو 60 ألف طن ما يؤمن إنتاج أربع ساعات كهرباء يومياً. لكن مع ارتفاع السعر، انخفضت الكمية الناتجة من المقايضة إلى 40 ألف طن ولم تعد هذه الكميات كافية لإنتاج أكثر من ساعتين في ظل ذروة الطلب الصيفية على الكهرباء.

هذه المتغيرات، أي سعر الطن العالمي، والطلب الفعلي على الكهرباء محلياً، قد لا يستمرّان بالوتيرة نفسها في الخريف المقبل، أي يفترض أن تتمكّن مؤسسة كهرباء لبنان من زيادة ساعات التغذية. ولهذا السبب، عقد أمس اجتماع في وزارة الطاقة حضره رئيس مجلس الإدارة المدير العام لمؤسسة كهرباء لبنان كمال حايك، ورئيس مجلس الإدارة المدير العام لمؤسسة مياه الليطاني سامي علويّة. الاجتماع خصص من أجل إعادة توزيع الكهرباء المنتجة بواسطة المؤسستين بهدف توسيع رقعة التغذية. وبحسب مصادر المجتمعين، فإن المشكلة الأساسية تكمن في عملية توزيع ساعات التغذية بالكهرباء المنتجة، ولا سيما أن هناك الكثير من الضغوط السياسية والأهلية في المناطق المحيطة بالإنتاج في معامل مصلحة الليطاني، إذ يمكن خفض بعض الساعات وإعادة توزيعها على قرى وبلدات أخرى حتى لو جرى استخدام شبكة كهرباء لبنان في هذا الإطار.

(الأخبار)

على الغلاف

تغيير لون العين تجميل أم عمى؟

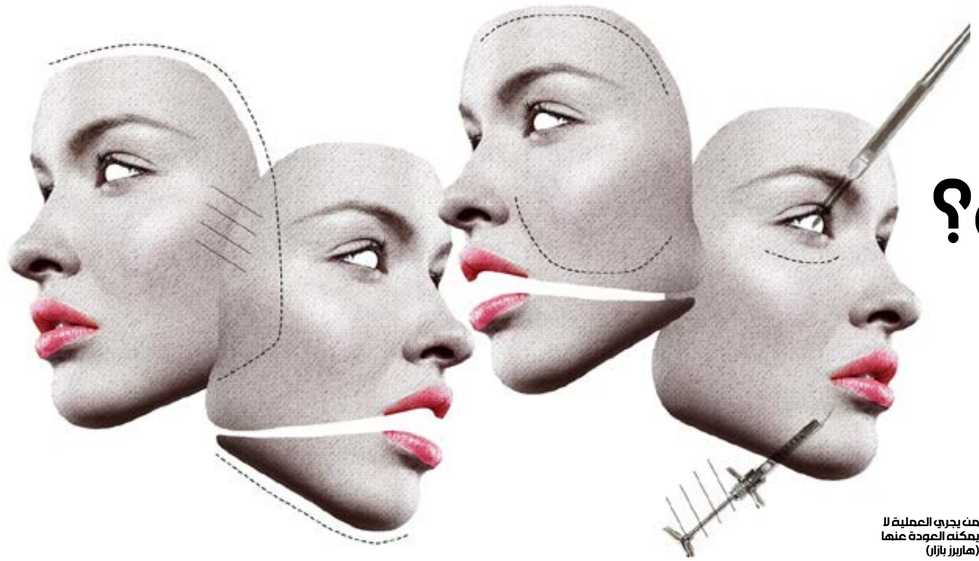
هنا يجري العملية لا يمكنه العودة عنها (هاربرز بازار)

رضا صوايا

انتشرت خلال الأشهر الماضية إعلانات وفيديوات ترويجية لطبيب التجميل نادر صعب يعلن فيها عن "تقنية ثورية" تسمح بتغيير لون العيون بشكل دائم خلال ربع ساعة فقط، ومن دون أي ألم ومخاطر تذكر. تقنية يرى صعب في فيديواته المنشورة أنها كفيلة "بتحويل الحلم إلى حقيقة" وتخليص من يخضعون لها من "العوارض التي كانوا يعانون منها بسبب العدسات اللاصقة". إلا أن الحلم الذي يروّج له صعب يخفي في طياته، بحسب أطباء عيون، كوابيس مرعبة قد تحجب الألوان نهائياً عن العين وتصيب من يجريها بالعمى.

حملة صعب الدعائية استنفرت "الجمعية اللبنانيّة لأطباء العين" التي أصدرت بياناً في 20 حزيران الماضي حذّرت من خلاله، بالتفصيل، من المخاطر الكبيرة الناجمة عن تقنية تغيير لون العين. بيان الجمعيّة استُتبع قبل يومين بإعلان جمعية المجازين في قياس النظر في لبنان عن "دعمها وتضامنها مع جمعيّة أطباء العين في حملتها وذلك حرصاً على سلامة المواطنين". تحرّكات لم تلقَ حتى اللحظة أي صدى لدى صعب الذي كثّف من حملته، وآخرها كان إعلان جديد نشره يوم الأحد الفائت.

تقنية آمنة؟

يؤكد صعب في حديث مع "الأخبار" أن التقنية التي يعتمدها، femtolasic، بحسب ما يرد في الإعلان، "آمنة بنسبة 99,99%"، وأتمنّى من أطباء العيون الذين يهاجمونها الاطلاع عليها قبل الحكم والتجنّي. أوافقهم الرأي بأن تقنيات أخرى متبعة لتغيير لون العين خطيرة وقد تؤدي إلى العمى، ولكن هذا لا ينطبق على التقنية المستخدمة في مستشفى نادر صعب". وبلفت إلى أن "التقنية التي يستخدمها ليست عملية، بل إجراء ليزر سهل جداً، وبجلسة واحدة وربع ساعة فقط يتغيّر لون العين. ويمكن للشخص اختيار لون من أصل 17 لوناً متاحاً". وعن كلفة العملية ينفي صعب "ما يشاع عن أنها تكلّف 18 ألف دولار. هنالك مبالغة في الرقم، علماً بأن كلفة آلة الليزر تقدّر بحوالي نصف مليون دولار".

خلافاً لما يروّج له صعب، يشير بيان "الجمعية اللبنانيّة لأطباء العين" إلى أن "من يسوّق لهذه العمليات ويقوم بها يجعل من عيون المواطنين حقل تجارب ويحاول تضليلهم عن طريق بثّ معلومات غير صحيحة وغير علمية بتاتاً، وإظهار العملية على أنها بسيطة ولا تنطوي على أي مخاطر بغية تحقيق المكسب المادي". وفيما يشدّد صعب على أن التقنية التي يستخدمها "حائزة موافقة إدارة الغذاء والدواء الأميركية FDA، ويتم اعتمادها في الولايات المتحدة والعديد من الدول الأوروبية، وأنا أوّل من استقدمها إلى العالم العربي"، يوضّح البيان أن "هذه العمليّة لم يتم تبنّيها أو اعتمادها من قبل أي هيئة علمية محليّة أو عالميّة، والمضاعفات الناجمة عنها خطيرة جداً وقد تؤدي إلى العمى (تحلّل القرنية، التهابات جرثومية خطيرة، الحاجة إلى زرع قرنية وانفصال شبكية)".

مخاطر العملية

يشرح رئيس الجمعيّة اللبنانية لأطباء العين الدكتور حسن شاهين أن هذا النوع من العمليات "يقتصر على حالات مرضية خاصة جداً كالتشوّه الخلقي في القرنحية، أو على عين فاقدة كلياً للنظر. وبالتالي فإن استخدامها على عيون سليمة خطأ طبي فادح. أوّل ما يتعلّمه الطبيب هو ألا يكون العلاج مسبّباً للأذى. لكن هذه العمليّة بالطريقة المستخدمة لتغيير لون العين عنوانها الأساسي هو الأذية. كل التقنيات المستخدمة حتى اللحظة لتغيير لون العين، باستثناء العدسات اللاصقة، هي تقنيات لم توافق عليها أي إدارة طبيّة عالميّة وليرسل لنا الـ FDA إن كان موجوداً".

> لمتابعة الموضوع عبر اتخاذ إجراءات قانونية لمنع عمليات مماثلة

يفصّل شاهين الإجابة الخطيرة التي قد تنتج من إجراء عمليات كهذه، ومنها "منع إجراء فحص العين الروتيني بشكل دائم كون التلوين سيخفي جزءاً كبيراً من داخل العين، كما أن تغيير لون العين سيجعل عملية الماء الزرقاء غير آمنة في المستقبل، ويزيد من المضاعفات بشكل كبير جداً، وكذلك الأمر في حال احتياج المريض إلى علاج بالليزر أو جراحة لشبكية العين في المستقبل. كذلك فإن هذه العملية تؤثر على حقل نظر المريض في المستقبل، إضافة إلى تسبّبها بإزعاج كبير له من الضوء".

أحد أبرز المخاطر من الخضوع لعمليات كهذه يتمثّل بحسب شاهين "بعدم إمكانية الرجوع عن العمليّة أو إعادة العين إلى حالتها السابقة". أي بكلام أوضح، فإن من خضع للعمليّة بشكل دائم كون التلوين سيخفي جزءاً كبيراً من داخل العين، كما أن تجميل المسّ بالعين، وكل ما يشاع عن أن العمليّة خارج العين كلام غير صحيح". في المقابل، يقول صعب إنه "كطبيب تجميل لا يفهم بالعيون ولا يجري شخصياً عملية تغيير لون العين، بل هنالك فريق متخصّص من أطباء العيون العاملين في مستشفى نادر صعب هم من يتولّون هذه المهمة. وهذا الإجراء لا يلمس القرنحية ولا يمسّ بوظائف العين الأساسيّة".

أحد أبرز المخاطر من الخضوع لعمليات كهذه يتمثّل بحسب شاهين "بعدم إمكانية الرجوع عن العمليّة أو إعادة العين إلى حالتها السابقة". أي بكلام أوضح، فإن من خضع للعمليّة بشكل دائم كون التلوين سيخفي جزءاً كبيراً من داخل العين، كما أن تغيير لون العين سيجعل عملية الماء الزرقاء غير آمنة في المستقبل، ويزيد من المضاعفات بشكل كبير جداً، وكذلك الأمر في حال احتياج المريض إلى علاج بالليزر أو جراحة لشبكية العين في المستقبل. كذلك فإن هذه العملية تؤثر على حقل نظر المريض في المستقبل، إضافة إلى تسبّبها بإزعاج كبير له من الضوء".

في خضمّ هذه التصاريح المتضاربة، وإلى أن تتدخل نقابة الأطباء بشكل سريع وحاسم لوضع النقاط على الحروف، يبقى المواطن فريسة سهلة للفوضى المستشرية، وخاصة أن صعب بذاته يكشف عن "وجود مراكز عدة في لبنان تجري عملية تغيير لون العين، لكن وفقاً للطرق القديمة التي تدمّر العيون". من جهتها، فإن الجمعيّة اللبنانيّة لأطباء العين ماضية في حملتها للتصدّي لهذه الممارسات كافة، إذ يؤكد شاهين أن "الجمعيّة، بالتعاون مع نقابة الأطباء في لبنان، في صدد استكمال الإجراءات القانونية لمتابعة الموضوع ومنع إجراء عمليات كهذه. وتتمنى الجمعية على المواطنين أخذ الحيطة والحذر وأن يلجأوا إلى طبيب العيون الخاص بهم أو التواصل مع الجمعية عبر الإيميل لأخذ المشورة العلميّة الدقيقة".

أطباء في الوطن العربي يحذّرون

يتحدّث الدكتور نادر صعب عن "نيّته إنشاء أكبر مركز عيون في الشرق الأوسط والعالم العربي في لبنان، وسأنشئ مركزاً آخر في دبي".

وعلى سيرة الإمارات، من اللافت أن جمعية الإمارات لطب وجراحة العيون كانت قد أصدرت بياناً في كانون الأول عام 2020 أشارت فيه إلى أن "المشاكل الناجمة عن هذه العمليات التجميلية للعيون السليمة كثيرة وخطيرة، وأهمها فقدان البصر"، وأن "مثل هذه العمليات تم التصديق عليها من قبل هيئة الغذاء والدواء عالمياً لعلاج فئات محدّدة كإصابات في قزحية العين، غياب القزحية الوراثي، أو حالات مرضية تستدعي مثل هذه العمليات".

كذلك كان بارزاً حجم التفاعل الذي لاقاه ترويج الدكتور صعب للتقنية من قبل أطباء عيون في لبنان وخارج لبنان، وخاصة في مصر حيث قام الدكتور طارق شعراوي، رئيس قسم جراحات المياه الزرقاء بجامعة جنيف في سويسرا بإعادة نشر البوست المنشور على صفحة الدكتور صعب والتعليق عليه بالآتي: "العملية اللي بيسوّق لها الدكتور نادر صعب عملية غير معترف بها ولا مسموح بإجرائها ونتائجها كارثية في معظم الحالات، ويمكن أن تؤدي إلى العمى. أدعو جميع الأطباء في العالم العربي إلى الوقوف بحسم ضد هذه الممارسات".

تقنية الليزر غير آمنة

فؤاد بزي

نولد جميعاً بعينين زرقاوين لغياب صبغة الميلانين منهما، وهذا هو اللون الأساسي لهما. صبغة الميلانين هذه تحدّد لون البشرة والعيون والشعر. في الأشهر الأولى من عمر الطفل، يبدأ الميلانين بالتراكم داخل قزحية العينين بدرجات. إن كان التراكم كبيراً يتحوّل لون العينين إلى البني، ويشكل الأشخاص أصحاب العينين البنيّتين ما نسبته 55% من البشرية. وإذا كان تركيز الميلانين كبيراً جداً، يُخيّل إلينا أنّ العينين أصبحتا سوداوين، بينما في الحقيقة يكون اللون لا يزال بنياً، ولكنه داكن للغاية. أما التركيز الخفيف للميلانين فيجعل من لون العينين فاتحاً أكثر، وصولاً إلى اللون الأزرق الذي نولد فيه، إذ يغيب فيه الميلانين بشكل شبه نهائي. ويشكل أصحاب العيون الزرقاء ما نسبته 8% من البشرية.

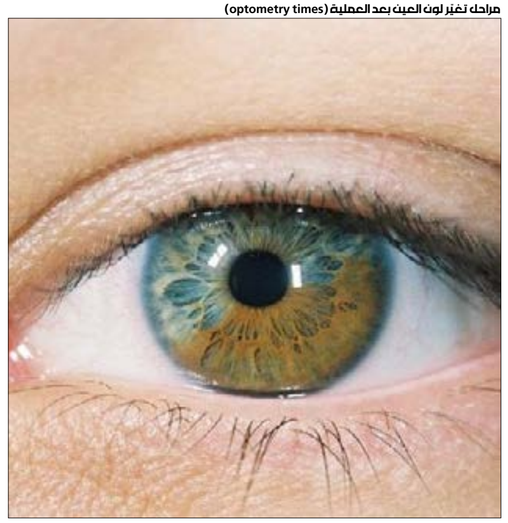
مراحل تغيّر لون العين بعد العملية (optometry times)

الشمس ولون العيون

يخضع لون العينين لعوامل وراثية تحدّد كمية الميلانين الموجودة في القزحية. وتختلف شعوب الكرة الأرضية في ما بينها بلون العينين تبعاً لتعرّضها لأشعة الشمس. فالميلانين له وظيفة أساسية وهي حماية بصرنا من الأشعة فوق البنفسجية الصادرة من الشمس. ومن هنا يمكننا أن نفهم أكثر سبب الاختلاف الكبير في لون العينين بين شعوب منطقتنا مثلاً، حيث نتعرّض للأشعة بشكل أكبر من شعوب المناطق الشمالية في أوروبا. وعليه فإنّ إنسان بعينين زرقاوين في منطقتنا لن يستطيع العيش كإنسان قديم يصطاد ويفتش عن غذائه بنفسه لعدم قدرته على تحمّل الشمس لوقت طويل، ولذلك لا نجد عيوناً بألوان فاتحة بين شعوب منطقتنا قبل بدء الغزوات المتبادلة.

ولو ذهبنا في بحثنا نحو الأمور الجمالية، سنجد أبيات الغزل متمحورة حول "عينان سوداوان في جحريهما"، أو حجم العيون الكبيرة بقول المتنبي "ترنو إليّ بعين الظبي مجهشةً"، وقول جرير "عيون المهى بين الرصافة والجسر". هذا ما عند قدماء العرب نستخدمه للاستدلال على أمرين، الأول غزارة الغزل بالعيون ذات الألوان الداكنة بسبب عدم التعرّف على الشعوب الأخرى وقتها. والأمر الثاني يشير إلى تعلّق الناس كثيراً بـ"جاذبية العيون" وما تحمل من جمال.

مخاطر كبيرة

أما اليوم، ومع انقلاب معايير الجمال لسيطرة النمط الغربي على المجتمعات، فقد أصبحت العيون الزرقاء والخضراء وحتى الرمادية هي "الأجمل". وبرز سعي من الراغبين من الناس، نساءً ورجالاً، لتغيير لون عيونهم بالطريقة الأقدم والأكثر أماناً وهي "العدسات اللاصقة الملونة". إذ لا تكاد تخلو صيدلية من هذا المنتج بسبب رواجه والطلب الكبير عليه، رغم ارتفاع سعره. ومع تطوّر العلوم الطبية أكثر، ظهرت عمليات جراحية يمكن من خلالها تغيير لون العيون بشكل دائم بطريقتين: زراعة لون جديد للقزحية أو عبر تقنية الليزر (femtolasik أو ultralasik).

> تُستخدم أشعة الليزر لتعطيل الميلانين الموجود في القزحية

في تقنية الليزر، التي يجري الترويج لها حالياً، سيعمد الطبيب الى استخدام هذه الأشعة لتعطيل الميلانين الموجود في القزحية، وخلال الأيام والأسابيع التالية يتخلّص الجسد من الصبغة الموجودة في العين، وبالتالي يتغيّر لون العيون بحسب درجة التعطيل التي تمّت. إن كانت تامة وكبيرة يتحوّل اللون نحو الأزرق (اللون الأساسي لعيون الأطفال)، ويمكن التحكم بدرجات اللون للحصول على ألوان مختلفة.

ولكن حتى اللحظة، لم يحصل أيّ من هذه التدخلات الجراحية على الترخيص اللازم من الجهات الطبية العالمية، ولا تزال النصيحة الدائمة لمعظم أطباء العيون باعتماد العدسات اللاصقة الملوّنة في حال الرغبة بالحصول على لون عيون جديد. المخاطر المتأتية من عمليات كهذه كبيرة، وهي تتراوح بحسب الأكاديمية الأميركية لأطباء العيون بين الالتهابات الحادة، وصولاً إلى العمى التام. تضاف إلى هذه المخاطر مشكلة "تحرير الصبغة" داخل العين، ما قد يؤدي إلى انسداد قنوات التصريف داخل العيون، وبالتالي ارتفاع ضغط العين قبل الوصول إلى مرض "الماء الأزرق" glaucoma.

حين يتحوّل الهوس بالجمال إلى مرض

> لم تعد عمليات التجميل تتوقف عند هدف تحسين المظهر. بعضها تسبّب بتشوّهات نفسية وصلت إلى محاولة الانتحار. الطبيبة النفسية جيهان رحيم أجابت عن أسئلة «الأخبار» حول أسباب تحوّل الراغبين في تحسين مظهرهم الخارجي إلى مرضى

آمال خليل

■ لماذا يلجأ الأشخاص إلى التجميل؟

لأسباب شخصية وعائلية واجتماعية متعلقة ببيئته المحيطة نفسها في الجسم. أولئك الأشخاص يعانون من اضطراب تشوّه الجسم المعروف بـ Dysmorphobie، بحيث لا يتوقف المريض عن التفكير في عيوب أو نقائص يتصوّرها عن مظهره. وقد لا يكون ما يعتبره عيباً لافتاً للآخرين، لكنه مقتنع بأنه موجود وظاهر. ومنهم من لا يكتفي بجراحة واحدة. وبعد خضوعه للتجميل، لا يقتنع بأن العيب قد صُحّح، فيلجأ إلى عمليات إضافية.

■ ما هو أثر «السوشال ميديا» ووسائل الإعلام في نشر ثقافة التجميل؟

تواجه النساء عنفاً ضدّهن بسبب الصورة النمطية للسيّدة الجميلة وأغلب العمليات تتركز في التنحيف وتكبير الصدر وتجميل الوجه، فضلاً عن مواجهة تقدّم العمر بعمليات تظهرها أصغر سناً.

■ هل يعدّ الراغب بالتجميل ضحية عائلته ومحيطه فقط أم ضحية نفسه أيضاً؟

هناك فئة من الأشخاص تملك الرغبة الداخلية بتحسين مظهرها، وقد تتطوّر رغبتها إلى اضطرابات هستيرية شخصية، تحرّكها الحاجة بلفت انتباه المحيط. فيصبح شخصاً يهمّه بأن يبدو جميلاً ويركز على شكله الخارجي. هذه الفئة لا يصبح هدفها تحسين شكلها الخارجي، وإنما لفت انتباه الآخرين وجذبهم.

■ متى يصبح التجميل مرضاً نفسياً؟

عندما يلجأ الشخص إلى إجراء عمليات متكررة، ولا سيما للمنطقة نفسها في الجسم. أولئك الأشخاص يعانون من اضطراب تشوّه الجسم المعروف بـ Dysmorphobie، بحيث لا يتوقف المريض عن التفكير في عيوب أو نقائص يتصوّرها عن مظهره. وقد لا يكون ما يعتبره عيباً لافتاً للآخرين، لكنه مقتنع بأنه موجود وظاهر. ومنهم من لا يكتفي بجراحة واحدة. وبعد خضوعه للتجميل، لا يقتنع بأن العيب قد صُحّح، فيلجأ إلى عمليات إضافية.

■ ما هو أثر «السوشال ميديا» ووسائل الإعلام في نشر ثقافة التجميل؟

تواجه النساء عنفاً ضدّهن بسبب الصورة النمطية للسيّدة الجميلة التي تروّج لها المجلات منذ عقود والمحصورة بالمرأة النحيفة على وجه الخصوص. ما دفع كثيرات إلى الخضوع للجراحة التي تؤدي الى التنحيف. وبرغم الحملات التي خيضت لكسر تلك الصورة التي تحدّد مقاييس للجمال، لكن لا تزال هي السائدة. وما فعلته «السوشال ميديا» تعميم تلك المقاييس والتأثير على شريحة واسعة تتساق للتجميل حتى لو لم تكن مقتنعات.

■ ما هي حصة الرجال من الهوس بالتجميل؟

معظم الرجال الراغبين بالتجميل يخشون من تقدّم العمر التي يشترك فيها الرجال والنساء على السواء. وبرغم أن النسبة أكبر لدى النساء، لكن هناك رجال كثر يخضعون لعمليات التنحيف وحقن البوتوكس في الوجه لتبديد معالم الزمن.

■ إلى أيّ حد يمكن أن يتطوّر الوسواس بالتجميل؟

قصدني أشخاص كثر يعانون من تبعات نفسية لعمليات التجميل أو من التنمّر عليهم بسبب ما يرونه عيباً في شكلهم الخارجي. ومنهم سيدة حاولت الانتحار بعدما اعتبرت أن عمليات تجميل الأنف التي أجرتها فشلت وأدّت إلى تشويهه وأصيبت بحالة عدم رضى عن الذات. إلى جانب حالات لسيدات أجبرهنّ أزواجهن على الخضوع للجراحة، وعانين من اضطرابات نفسية بسبب عدم تقبل الشريك لما هنّ عليه.

على الحافة

التخلّي عن ربطة العنق... الخانقة!

حبيب معلوف

"الشكليات ستقتلنا". هذا كان عنوان لمقال منذ ربع قرن تقريباً. ينطلق من تقدير كلفة أغلفة السلع الشكلية وغير الضرورية على الاقتصاد والطبيعة. بالأمس عاد موضوع كلفة الشكليات والكماليات ليطغى على النقاشات وعلى المشهد السياسي الغربي، بعدما أعلن رئيس الوزراء الإسباني بيدرو سانشيز في مؤتمر صحافي ضرورة التخلي عن ربطة العنق الرسمية للمساهمة بخفض استهلاك الطاقة، نظراً إلى ما تسبّبه هذه الربطة المشدودة على العنق من ضيق، ومن زيادة ارتفاع حرارة الجسم والتعرّق... وبالتالي زيادة الحاجة إلى التكييف واستهلاك الطاقة، في وقت تمرّ فيه بلاده بأزمة ارتفاع درجات الحرارة وأزمة النقص في إمدادات الطاقة في آن، بعد الحرب الروسية -الأوكرانية. وفي الوقت نفسه تقريباً، حصل انقسام في البرلمان الفرنسي بين مطالب بالتخلي عن اللباس الرسمي وبين مطالب بالمحافظة عليه، بين يسار مطالب بضرورة التخلي عن ربطة العنق لأسباب اقتصادية، وبين يمين مطالب بالمحافظة عليها لأسباب شكلية وبروتوكولية.

ليس غريباً أن تأخذ ربطة العنق كلّ هذه الأبعاد والضجة في عالم تخلّى، منذ الثورة الصناعية، عن اعتبار الزيّ، حامل وظيفة الواقي من موجات الحرّ أو البرد، إلى أداة للأزياء، والموضة ذات كلفة عالية جداً على الاقتصاد والبيئة والموارد والمناخ العالمي.

لم تُنشر دراسات بعد، حسب علمنا، عن مدى التوفير المحقّق من الاستغناء عن ربطة العنق. ولكن في تقديرات الأمم المتحدة، حسب دراسة صادرة منذ أكثر من عامين، تستهلك صناعة الموضة (المقدّرة بمئة مليار قطعة ثياب سنوياً) الكثير من الموارد والمصادر الخام. تحتاج الملبوسات القطنية إلى الكثير من المياه والكيميائيات كما هو معلوم. أما الملبوسات المشتقّة من مواد نفطية، فلها آثار لا تقلّ فداحة وتتسبّب جزيئاتها بعد غسلها، بتلوّث كيميائي خطير جداً في الأنهار والبحيرات والبحار والمحيطات. بالإضافة إلى التلوّث الفادح الناجم عن استخدام الصباغ الكيميائي لهذه الصناعة التي تتطلّب تغييرات دائمة في الألوان والشكليات. كما يصدر عن صناعة الموضة ما يقارب 10% من الانبعاثات العالمية (بما يعادل انبعاثات الرحلات الجوية والبحرية حول العالم) المسبّبة بتغيّر المناخ وبهدر ما يقارب 20% من المياه... وينتهي أكثر من 85% من الأقمشة المقدّرة بـ92 مليون طن سنوياً من النفايات في المكبّات العشوائية أو المحارق الملوّثة للهواء.

وعندما كانت بعض البلدان الغربية تتشدّد في ضبط ملوّثات هذه الصناعات، كان القائمون عليها ينقلون بعض مراحل الإنتاج والتصنيع الوسخة إلى البلدان النامية والفقيرة، استغلالاً للمواد الخام فيها وللتفلّت من إجراءات ضبط الانبعاثات والملوّثات الصلبة والسائلة المكلفة، ولتوفير المياه التي تستهلكها تلك الصناعات بكميات كبيرة، إذ تستهلك صناعة الجينز الواحد، على سبيل المثال 7500 ليتر من المياه!

كان العالم الصناعي المخملي قد بدأ يتراجع عن فكرة "الفخامة" في استخدام صناعة الجلود في فرش السيارات الفخمة... بعدما كان يفاخر أصحاب السيارات هذه برائحة جلود فرشها. كانت صناعة سيارة واحدة مثل "رولز رويس" أو "الرنج روفر" ذات فرش جلدي كامل تتطلب جلود ما يقارب 12 بقرة، مع ما تحتاج إليه تربية الأبقار من حبوب وأعلاف ومياه وقطع غابات لزراعة هذه الأعلاف! وقد بدأت منذ فترة عمليات استبدال هذه الجلود بأخرى نباتية ولا سيما من نبات البامبو ذات الألياف الكثيف والقوية. ولا سيما في صناعة السيارات الكهربائية الفخمة أيضاً. ولا نعرف إن كنا في حالة انتقال من كارثة إلى أخرى حين ننتقل من سيارة تعمل على الوقود الأحفوري المشكوّ من انبعاثاتها ومن نوعية جلدها إلى سيارة كهربائية نباتية تحتاج صناعة البطاريات فيها إلى أتربة نادرة تلوث البيئة والمياه في استخراجها! ولم يعد معلوماً والحالة هذه، إذا كانت السيارة الكهربائية الفخمة، هي المدخل الصحيح للخروج من الشكليات القاتلة، طالما لم نتخلّ عن فكرة القيادة الخاصة للسيارات وأخذ مساحة فردية من الطرقات العامة، ناهيك عن التباهي بالنوعية والرفاهية الفردية. مع العلم أن مشكلة الشكل قد تكون أخطر من مشكلة الفعل أحياناً. فعندما يصبح الشكل هو القيمة، تصبح السيارة الفخمة مثل ربطة العنق الخانقة تماماً. وهذا ينطبق أيضاً على الأغلفة الجميلة للسلع التي تفوق المحتوى كلفة وحجماً أحياناً كثيرة.

هل يعقل أن الأناس "الرسميين" لا يعرفون أن ربطة العنق تخنق؟ أو أنها أصبحت مكلفة على الاقتصاد والصحة والطاقة؟ وكأن العالم، بالرغم من ما يصيبه من كوارث، لم يستطع أن يتخلى عن الشكليات والكماليات والفخامة... حتى الموت.

ليست ربطة العنق هي وحدها التي تخنق. حرائق الغابات حول العالم في السنوات الأخيرة باتت خانقة أيضاً. أسعار الطاقة أو فقدانها باتت خانقة. أسعار الدواء، وفقدانه أيضاً. ارتفاع أسعار المياه العذبة وندرتها، ستخنق. نظام حضاري مسيطر بكامله بات خانقاً. اشتدّ الخناق كثيراً حول رقبة الإنسان الحديث الذي تربّى على الشكليات.

أليس التدخين من الشكليات والكماليات أيضاً؟ كان البروتوكول الغربي ينزعج من "التقطيس" وإصدار أصوات أثناء تناول الطعام... ولا يعلن انزعاجه من التدخين بالقرب من الناس، مع أن التدخين السلبي يقتل مثل التدخين الفعلي تماماً. ولا سيما في الأماكن المغلقة والخانقة. وكان البروتوكول يقضي بقول صباح الخير أو مساء الخير قبل المباشرة بالكلام في أي موضوع. ولكن لماذا نستمر في قولها الآن إذا لم يعد هناك من خير وبتنا نختنق من كل شيء؟! أليس التخلي عن التفخيم والشكليات هو المدخل لفك الطوق عن رقابنا. فلو كان التصبيح بالخير هو الذي يجلب الخير، لكنا الآن في أفضل حال. فالخير، في طبيعته، يكون عاماً أو لا يكون. فكيف سيصل المجتمع الغارق في فرديته، المجتمع الذي مجّد الشكليات والفرد أن يحقق الخير العام؟ لطالما كانت العلاقة المتناقضة بين الجوهر والمظهر محل تأملات عند كبار الفلاسفة عبر التاريخ، وتم تغليب الجوهر كقيمة على المظهر عندهم. حتى جاءت ما يسمى "الثورة الصناعية" وقلبت المقاييس. لقد احتاج كثرة التصنيع والإنتاج إلى الشكل والتلاعب به من أجل التسويق والبيع، ضمن قواعد اقتصاد السوق المسيطرة. وحين أصبح حبّ الاقتناء هو الغالب على حبّ الاكتفاء، بدأ العالم يشهد شكلاً جديداً من أشكال الاختناق، يكاد يكون مهدّداً هذه المرة لديمومة النوع الإنساني نفسه.

فهل تكون الحملة شبه الدولية للتخلي عن ربطة العنق مدخلاً للتغيير نحو التفتيش عن العمق والجوهر في حياة الإنسان ما بعد قوانين البروتوكول وما بعد عصر الموضة والأزياء المكلف جداً على الطبيعة والنوع الإنساني؟ أم هي استمرار لنهج تعظيم الجزء على حساب الكلّ أو كحيلة واعية (أو لا واعية) لنسيان الكلّ؟!

سيرة الحكم في لبنان في سيرة صائب سلام [3]

أسعد أبو خليك *

حديثنا هنا عن مذكرات صائب سلام التي صدرت للتوّ في ثلاثة أجزاء بعنوان: «صائب سلام: أحداث وذكريات». وقلتُ من قبل إن الأجزاء الثلاثة هي يوميّات دوّنها صائب ونشرتها العائلة كما هي من دون تصحيح أو تنقيح أو تحرير، مع أنها تنقل صورة معبّرة عن مكنونات صائب سلام وتفكيره في محطات تاريخيّة هامّة شارك هو في صنع بعضها.

تستحقّ هذه المذكّرات أن تنال نصيبها من الاهتمام بالنسبة لتاريخ لبنان المعاصر وتاريخ الحرب الأهليّة لكن حجم المذكّرات قد يكون السبب في عدم صدور مراجعات لها. موقع «أساس» (مالكه نهاد المشنوق) نشر عنها لكن الكاتب اختار أن يصوّب على المرحلة الحالية من خلال نتفٍ من مذكرات صائب. وقد عايش صائب أحداثاً جساماً في تاريخ المنطقة والتقى بشخصيّات محليّة وعربيّة وعالميّة، ويكتب في اليوميّات عن «السياسي الألماني، ريبنتروب» (ص. 123) وكيف أنه ألحّ في طلب مقابلة صائب لكن صائب أبى لرفضه مسايرة الأجنبي. لكن لا أدري إذا كان صائب يتحدّث هنا عن وزير خارجيّة هتلر، يواكيم فون ريبنتروب، لأن ليس هناك من أثر في المراجع عن زيارة له إلى بيروت. ويقول إنه لم يكن يثق لا بالألمان ولا بالإنكليز الذين «لا يريدون بنا خيراً سواء في لبنان أو في كافة الدول العربيّة». ويردّ صائب تهمة عن عائلته بأنها كانت من «أنصار الإنكليز» لأن ثقافة أفراد العائلة كانت إنكليزيّة (وكان تصنيف السياسيّين يومها بناء على معيار مماشاة الفرنسيّين مقابل مماشاة البريطانيّين).

وهناك إشارة مفيدة في يوميّات صائب إلى أصل لقب البكويّة في بيروت، فيقول إن «البكويّة لم تكن أصلاً في القاموس السياسي الاجتماعي لأبناء بيروت. فأنا ما عرفتُ والدي إلا «أبو علي» أو «الوجيه» أفندي» (ص. 132). وصائب على حقّ في أن بيروت لم تعرف الاستزلام السياسي الذي عرفته مناطق أخرى من لبنان مثل الجنوب وعكار والبقاع وكسروان وزغرتا. ويشير صائب إلى دور الاستعمار الفرنسي والإنكليزي في تمويل ودعم أشخاص محدّدين من «عملائهم من المسيحيّين ثم تعمّمت بواسطة بعض الزعماء الجدد، لمحاربة وجهاء بيروت بواسطة خير الدين الأحدب من طرابلس ورياض الصلح من صيدا واقتحام الساحة البيروتيّة». و«الزعامة» مسألة طارئة في الحياة السياسيّة والاجتماعيّة لبيروت، حيث كانت صفة الوجاهة هي السائدة قبلاً» (ص. 131). وقد تكون «الوجيه» موازية لصفة «الأعيان» الذين تحدّث عنهم المؤرّخ ألبرت حوراني في كلامه عن بلاد الشام تحت حكم العثمانيّين. لكن صائب لم يشرح لنا كيف أنه قبل في كل سنوات زعامته بلقب البيك ولم يتنكّر له في حياته السياسيّة. لكن العلاقة بين الناخبين وبين النوّاب في بيروت كانت أكثر ديموقراطيّة وإلفة من العلاقة بين الناخبين في مناطق أخرى من لبنان. وكان بيت صائب بصورة خاصّة مفتوحاً أمام المراجعين في مختلف أوقات اليوم (وكان يُقال في مديح صائب سلام تميّزه عن زعماء سنّة آخرين أنه كان «فاتح بيته»).

وفي قسم يستحق التوقّف عنده، يميّز صائب بين «الميثاق الوطني» و«الصيغة» ويفصل أنه كان هناك خلط (مغالط) مقصود بين المفهومين. يشرح صائب أن «الميثاق» غير المكتوب كان عبارة عن توافق وتفاهم إسلامي-مسيحي على «نبذ الاحتلال والحماية الأجنبيّة» عن لبنان (ص. 137). أمّا «الصيغة» فهي تلك التي وزّعت المناصب العليا بين الطوائف وتشكيل وفد ذهب إلى باريس» (ص. 126) ونجح في إقناع الحكومة بإلغاء المراسيم العلمانيّة للبنان. طبعاً، محاولة الجنرال «سراي» كانت الاستثناء لأن فرنسا هي التي هندست النظام الطائفي اللبناني وكرّسته في القوانين والأعراف.

وصائب صريح في كلامه عن تعصّب البطريرك عريضة إذ يقول عنه: «وكان البطريرك عريضة لا يفوّت مناسبة مع مسلم إلا ويذكر أمامه أن «الآزان» (أي القرآن) يأمر المسلمين بأن لا يأمنوا المسيحيّين، فأنتم لا تأمنون لنا ونحن لا نأمن لكم». وعبثاً حاولنا أن نشرح له كيف أن القرآن يجلّ سيّدنا المسيح وسيّدتنا مريم ويقول إن أقربهم مودّة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى... فيبقى مصرّاً على موقفه بقوله: «لا تجزّب أن تقنعني يا ابني» (ص. 171). هذا الجانب من المصارحة في الكراهية الطائفيّة مخفي في كتب التاريخ وفي سير السياسيّين اللبنانيّين الذين يفضّلون مشهد عناق القسّ مع الفولكلوري.

ثم يحدّثنا صائب عن شخصيّة أحمد سامح الخالدي. والخالدي هو من القلائل الذي حظوا بلفتة تميمة من صائب من حيث الوجز ووصف دقيق للشخصيّة (يصفه بـ«الصديق الظريف كل الظرف» (ص. 147)، وهو يعترف—على غير عادة—بأنه استفاد «كثيراً من فطنته وزجها». والخالدي تزوّج من شقيقة صائب، عنبرة سلام الخالدي، وهو والد سلافة ووليد وأسامة ورندة وطريف (لم تحصل دربّة عنبرة سلام الخالدي على الجنسيّة اللبنانيّة التي اقتنتها مقابل مبالغ ماليّة الكثير من الفاسدين العرب والأجانب—حتى توماس براك الذي سُجن في أميركا وهو ملاحق اليوم بتهم القبض من النظام الإماراتي للترويج له في سياسات إدارة ترامب حصل على الجنسيّة اللبنانيّة بتدبير ما من وزير الداخليّة آنذاك، نهاد المشنوق). وتعترف عنبرة في سيرتها لما كان هناك اعتراض من قبل العائلة السلميّة عندما تقدّم أحمد سامح لخطبتها ربما لأنه كان متزوّجاً (بحسب مصدر عائلي). لكن أحمد سامح كان زميلاً وصديقاً لمحمد سلام (شقيق صائب وعنبرة) في الجامعة الأميركيّة في بيروت وهو أعطى موافقته على الزواج وأقنع باقي أفراد العائلة. والمصاهرة بين عائلتَي الخالدي وسلام امتدّت: محمد سلام تزوّج من فاطمة الخالدي وعاصم سلام تزوّج من سلافة الخالدي، ووليد الخالدي تزوّج من رشا سلام. وأحمد سامح كان مربياً وعالماً اجتماعيّاً بارزاً وكانت «الكليّة العربيّة» في فلسطين من أحدث معاهد التعليم في كل العالم العربي—وأسهم هو في وضع مؤلّفات للاعتماد في المنهج الدراسي. ويُقال إن أحمد سامح الخالدي هو أول من ترجم فرويد إلى اللغة العربيّة. أحمد سامح كان من روّاد الدعوة للتعليم باللغة الوطنيّة (أذكر عندما التحقت بالمدرسة الابتدائيّة في مدرسة الـ«آي سي» في بيروت في الستينيّات كان مُعظم أساتذتي كانوا معلّمين في «الكليّة العربيّة» قبل النكبة، وكانت كتبنا المقرّرة من وضع أساتذة في الكليّة العربيّة). ومن إسهامات أحمد سامح الخالدي أنه أسّس مدرسة ابتدائيّة في جنوب لبنان في منطقة العرّيّة والحنيّة جنوب مدينة صور.

ويتحدّث سلام عن حكومة الاستقلال الأولى وعن نشوب الخلاف بين المسلمين والمسيحيّين (أو بين زعمائهم بالأحرى) حول تصميم العلم الوطني. يقول إن المسيحيّين «وتيّارهم الممثّل بإميل إدة وغيره، وحزب الكتائب وعلى رأسه بيار الجميّل، طالبوا بأن يكون العلم اللبناني شبيهاً بالعلم الفرنسي، من حيث الوانه الثلاث، بدلاً من العلم اللبناني الذي كان أثناء الانتداب مكوّناً من العلم الفرنسي نفسه والأرزة الخضراء في وسطه» (ص. 148). ويقول صائب إن المسلمين تشدّدوا «بمطالبتهم أن يتشكّل العلم اللبناني الاستقلالي من الألوان الأربعة: الأبيض والأحمر والأخضر والأسود، أي أن يكون شبيهاً بالعلم العربي المعروف من معظم الأقطار العربيّة آنذاك». كيف يتشكّل وطن عندما يكون قسم من زعمائه مصرّين على اعتناق علم الاستعمار على بلدهم؟ وحتى في النقاش حول تعديل الدستور بعد «نيل» الاستقلال من أجل إزالة كل الحظوظ والمزايا التي كان يتمتّع بها المستعمر، كان هناك نوّاب وقفوا ضد تعديل الدستور من أجل الحفاظ على هيمنة المُستعمِر الدستوريّة (يذكر صائب من هؤلاء النوّاب الأحمد عز شمين إدة وأيوب ثابت والفرد نقّاش وكمال جنبلاط).

ولا تدوم العلاقات الحسنة بينه وبين غيره من السياسيّين، الخصوم منهم كما الحلفاء. عبد الحميد كرامي، مثلاً، شكّل دعماً مبكراً لصائب، لكن صائب سرعان ما سينقلب عليه. عبد الحميد كرامي استوطن في منزل عائلة سلام في بيروت لدعم ترشيح صائب في أول انتخابات بعد الاستقلال. ويقول مصدر في العائلة السلميّة إن دعم عبد الحميد كرامي رجّح فوز صائب آنذاك. في المقابل، يقول صائب عن عبد الحميد إنه بعد تشكيله للحكومة في عام 1945 وقع أسير الاحتضان المسيحي: «ويظهر أن عبد الحميد، بعد تكليفه تشكيل الحكومة، بهرته السلطة والجاه، فانغمس فترة في أجواء ما كان يُسمّى وقتها بـ«الحي الشرقي» في بيروت، إذ أصبح نجماً لامعاً عند إخواننا المسيحيّين» (ص. 165). وقسوة حكم صائب على عبد الحميد مستغربة لأن ولاية عبد الحميد لم تستمرّ إلا بضعة أشهر فقط (من كانون الثاني/يناير حتى آب/أغسطس). وعبد الحميد، مثل كثيرين، ينسى أفضال صائب، إذ يقول: «وهذه واحدة من حوادث كثيرة ومتكرّرة تعكس، في علاقتي مع عبد الحميد كرامي تأييدَه له من قِبلي وجحودَ منه نحوي، سامحه الله» (ص. 169). حكم صائب على عبد الحميد أن له مواقف سلبيّة نحوه، لأنه لم يدعم ترؤسه لوفد برلماني. والطريف أن صائب يؤمن أن عبد الحميد، كما رشيد من بعده، لم يقوَ على تحمّل أعباء الحكم. ويذمّ صائب أيضاً عبد الله اليافي وينوّه بمساعدته له فيقول: «ورغم كل المواقف السابقة لعبد الله اليافي المؤيّدة للانتداب ورغم العزلة التي فرضتها عليه الأوساط الشعبيّة، اقترحتُ أن ينضم اليافي إلى الوفد» (ص. 166). ثم كيف يكون اليافي معزولاً شعبيّاً وهو كان في كل تلك الحقبة في الأربعينيّات والخمسينيّات نائباً ووزيراً؟ ويصف صائب اليافي العروبي الناصري بـ«فرنكو فيلي».

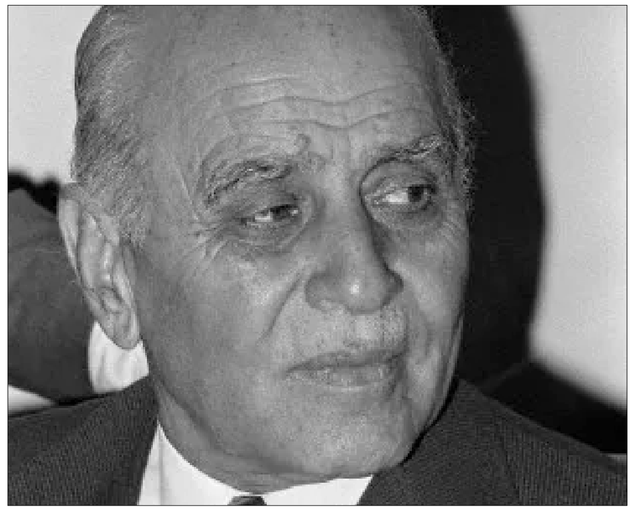

> في قسم يستحق التوقّف عنده، يميّز صائب بين «الميثاق الوطني» و«الصيغة» ويفصل أنه كان هناك خلط (مغالط) مقصود بين المفهومين

وتظهر برودة وجفاء صائب بصورة بارزة أو عرضيّة في اليوميّات. هو مثلاً يقول إن شقيقه «محمد وزوجته» رافقاه في تدشين أوّل خط طيران بيروت-قبرص. لكن لماذا لا يعرّف زوجته شقيقة محمد بأنها كانت فاطمة الخالدي (أم هاني) وكانت عميدة في عائلتي الخالدي وسلام، وكانت قياديّة في وسطها؟ والذي تسنّى له (مثلي) مشاهدة صور عائليّة لـ«أم هاني» يتبيّن قوّة شخصيّتها في سن مبكرة وهي تقف بين إخوتها. ويقول وليد خالدي (في مراسلات عائليّة خاصّة اطلعتُ عليها) إن فاطمة الخالدي كانت أكثر ذكاء من معظم إخوتها اللامعين، حسين وفخري وحسن وغالب ويعقوب وإسماعيل وأحمد سامح وإن سبب عدم حصولها على شهادات تعليم هو عدم وجود مدارس جيّدة للبنات في منطقة يافا حيث كانت العائلة تقيم لأن الحاج راغب الخالدي كان قاضياً للمنطقة. ويذكر أفراد عائلة سلام والخالدي حس الفكاهة وسرعة البديهة والحنكة السياسية التي كانت تتمتّع بها. «أم هاني» هي التي أوكلت أن تنتقل ملكيّة منزل المصيطبة إلى صائب بعد أن انتقلت إلى محمد عندما تمّ تقسيم الإرث بالقرعة. وهل أن تجاهل صائب لفاطمة الخالدي مرتبط بحقده الطويل والقاطع على ابنها، هاني سلام، والذي وصفه في اليوميّات في ركن ذمّ عدد من الأشخاص هكذا: «كما تنكّر لي ذلك الولد العاق، هاني سلام، الذي ربّيته» (ص. 1277). هكذا يصف صائب ابن شقيقه الذي ناصبه العداء والضغينة منذ أوائل الستينيّات حتى وفاته وفشلت كل مساعي أفراد عائلتي سلام والخالدي في رأب الصدع وإصلاح ذات البين بينهما. ولا يعرّفنا صائب كثيراً على شخصيّة شقيقه، محمد سلام الذي قاد مؤسّسة «المقاصد» لتسع سنوات مفصليّة (ابتداء من عام 1949 حتى وفاته في عام 1958) وهو من المؤسّسين مع صائب وفوزي الحص لشركة «طيران الشرق الأوسط» (لا يذكره صائب عندما يتحدّث عن تأسيس شركة «طيران الشرق الأوسط» إذ يحصر الفضل بشخصه، ص. 171). ومحمد سلام هو كان أوّل من فتح أبواب مدارس «المقاصد» أمام الشيعة وطوّر المناهج الدراسي وأشرف على إصلاح أبنية «المقاصد» نفسها، وتعاون مع أحمد سامح من أجل تحديث وعصرنة التعليم في المقاصد. واهتم بـ«بيت الأطفال» (في الحرج) اهتماماً فائقاً وجعل المدرسة نموذجيّة. وأدخل تعليم اللغة الإنكليزيّة كي يزيد من القدرات التنافسيّة لطلاب «المقاصد» مقارنة بخرّيجي مدارس الإرساليّات. ويقول وليد الخالدي (في مراسلات عائليّة خاصّة غير منشورة) أن محمد كان أكثر أخوته مناصرةً للقوميّة العربيّة وأنه ابتسمّ وهو يحتضر لتقوميّة العربيّة وأنه ابتسمّ وهو يحتضر لتقوميّة بخبر الوحدة بين سوريا ومصر في عام 1958. عن عدم وجود مدارس جيّدة للبنات في منطقة يافا حيث كانت العائلة تقيم لأن الحاج ومدى ارتباط ذلك البلد، وجزء لا يستهان به من شعبه، بروسيا وبالروس هوية وفكراً وتاريخاً ولغة وثقافة.

من الجدير التنويه هنا أنه لا يمكن استبعاد أن بعض المتبنّين لوجهة النظر هذه، وهم بالمناسبة أيضاً يسار أو كانوا يساراً، ما زال لديهم نوستالجيا إلى أيّام الاتحاد السوفياتي، وهم يخلطون -وغالباً بتقديري من حيث لا يدركون- بين الاتحاد السوفياتي وروسيا، ويقومون بتقييم الأمور بخلفيّة أيديولوجيّة منحازين إلى البلد الذي كان اشتراكياً، وربما هو «يمثّل» الآن أنه لم يعد كذلك.

لكن بالمقابل توجد هذه الخلفيّة الأيديولوجيّة لدى الطرف الأوّل (المنحاز لأوكرانيا) أيضاً، حيث يتم وضع الولايات المتحدة وروسيا في نفس المرتبة بالقول إن روسيا رأسمالية وكذلك بوتين تماماً مثل الولايات المتحدة وبايدن. إن ذلك هو تسطيح لواقع أكثر تعقيداً. إن هذا يعني، بشكل أو بآخر، أننا لا ينبغي أن نكون مع أي طرف في أي حرب إذا لم يكن أحد المحاربين اشتراكياً. صحيح أن لكل الحروب ضحايا من البشر، لكن كثيراً من الحروب التي شنّت في التاريخ لها ما يبرّرها حتى وإن كانت أنظمتها السياسية، أو نظمها الاقتصادية الاجتماعية، من نفس «النوع»؛ حرب أكتوبر 1973 بين مصر وإسرائيل على سبيل المثال هي حرب بين دولتين «رأسماليتين» بشكل أو بآخر، لكن فيها من هو محقّ يريد تحرير أرضه ومن هو معتدٍ.

(يتبع)

* كاتب عربي - حسابه على تويتر
@asadabukhalil

الحرب الأوكرانية: الشرق بين مسألة الاصطفاف والاستفادة

إياد البرغوثي *

مرة أخرى ينقسم المثقفون الفلسطينيون والعرب حول الحرب الدائرة حالياً في أوكرانيا. البعض نظر لتلك الحرب على أنها مسألة محلية أوكرانية، ينبغي النظر إليها انطلاقاً كدولة تتعرّض لعدوان روسي، ومن واجب المثقفين الفلسطينيين والعرب والشعوب العربية الوقوف معها انطلاقاً من كونهم شعوباً تعرّضت وتتعرّض للعدوان الصهيوني والإمبريالي الغربي، ولا يجوز أن يتم الكيل بمكيالين كما تفعل القوى الإمبريالية. منطلق هؤلاء الأساس في ذلك الموقف هو الإيمان بحق تقرير المصير للشعوب... كل الشعوب من دون تمييز ومن دون تدخّل من أحد.

ولكي تفسّر هذه الفئة من المثقفين موقفها الذي يبدو على أنه مضاد لروسيا وليبوتين أكثر منه منحازاً لأوكرانيا ورئيسها زيلينسكي، تحاول التذكير باستمرار -وهي تتشكل غالباً من اليسار أو من الذين كانوا يساراً في الماضي- أن الحديث يجري عن روسيا الرأسمالية التي لم تعد لها علاقة بالاتحاد السوفياتي. محاولة بذلك سحب البساط الأيديولوجي من الطرف الآخر الذي يفترض أنه ما زال يخلط بين الحالتين. بمعنى أن تأييد روسيا أن يبذل أي جهد لمجاملة آخرين قد لا يكونوا سعداء بهذا الموقف. لقد جاء «إعلان القدس» الذي نتج من زيارة بايدن لإسرائيل ليؤكد أن الولايات المتحدة تقف مع إسرائيل في كل شيء، بل إن مصير إسرائيل مرتبط عضوياً بمصير الولايات المتحدة. جاء هذا يوماً واحداً فقط قبل اجتماعه في قمّة الرياض مع دول عربية يفترض أن بعضها ما زال يعتبر أن

> من الضروري ان ننتقل من خانة المع والضد إلى كيف يمكن الاستفادة من مخرجات هذه الحرب الدائرة

ذلك ينطبق على الحرب في أوكرانيا أيضاً، فروسيا رأسمالية وكذلك أوكرانيا والولايات المتحدة والغرب، لكن ذلك لا يعني أن الجميع متشابهون. وحتى عندما نسلّم بأن كل هذه دول رأسمالية إلا أن كلاً منها بلغ في عدوانيّته وإمبرياليته وتسلطه على العالم مرتبة تختلف عن الآخر. إن الذهاب إلى ضرورة أن يكون أحد المتحاربين اشتراكياً حتى تكون حربه عادلة لا يتم إلا عن أصولية فكرية لا تبتعد كثيراً عن القول بأن الوطن لا تحرّره إلا «الأيدي المتوضئة». وضمن خلط الأوراق الذي يقوم بها الطرف الأوّل، أو بعضه، والذي يساوي بين روسيا وأميركا، وبوتين وبايدن، يتم الحديث عن أن الطرفين داعمان لإسرائيل بشكل أو بآخر، سواء تاريخياً حيث اعترف كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة بإسرائيل منذ البدايات، أو في وقتنا الحاضر حيث تدعم الولايات المتحدة إسرائيل بلا حدود وكذلك تقوم روسيا بغض النظر عن الاعتداءات الإسرائيلية المتكرّرة على سوريا رغم تواجد جيشها وقواعدها هناك.

هناك كثير من الصحة في ذلك بالطبع، لكن هناك كثيراً من الخلط أيضاً. فأميركا تقف مع إسرائيل استراتيجياً وسياسياً وعملياتياً وإيديولوجياً. بايدن يقول إنه صهيوني من دون تحفّظ، ومن دون أن يبذل أي جهد لمجاملة آخرين قد لا يكونوا سعداء بهذا الموقف. لقد جاء «إعلان القدس» الذي نتج من زيارة بايدن لإسرائيل ليؤكد أن الولايات المتحدة تقف مع إسرائيل في كل شيء، بل إن مصير إسرائيل مرتبط عضوياً بمصير الولايات المتحدة. جاء هذا يوماً واحداً فقط قبل اجتماعه في قمّة الرياض مع دول عربية يفترض أن بعضها ما زال يعتبر أن إسرائيل دولة محتلة.

أمّا روسيا، فإن موقفها من إسرائيل ليس متحوكماً بايديولوجيا أو باستراتيجيا بقدر ما هو محكوم بسياسات مرتبطة برؤى لتصالح الروسية الأنية التي تتغيّر من حين لآخر. لكن روسيا تدرك بالأساس أن إسرائيل هي الحليفة الأوثق للولايات المتحدة، وأنها لن تكون إلى جانبها في يوم من الأيام في حال وجد التناقض الروسي - الأميركي.

بوتن هو قومي روسي أورثوذكسي، هو ليس ضد إسرائيل من حيث المبدأ لكنه أيضاً ليس معها أيديولوجياً وعلى طول الخط. من غير المعروف عنه أنه موال للصهيونية، لم يقل ذلك، وخلفيته كلها لا تشي بذلك، وإن كان على ما يبدو يدرك التقاطعات بين روسيا وإسرائيل في بعض القضايا، وبالتأكيد فإن مواقفه في ما يتعلّق بالسكوت أحياناً عن الممارسات الإسرائيلية ضد سوريا هو شيء يجب أن لا يدخل في نطاق التفهم من قبلنا في يوم من الأيام وهو مرفوض بالنسبة لنا تماماً.

هذا هو ما عليه الوضع بالنسبة للفلسطينيين والعرب، وبخاصة مثقفيهم، في ما يخص الحرب في أوكرانيا، لكن ذلك بتقديري ليس هو الأهم، ولا ينبغي أن يكون هو الأساس. إن نقاش أننا مع الحرب أو ضدها لم يعد مجدياً ما دامت الحرب قد وقعت، لذلك من الضروري أن ننتقل من خانة المع والضد إلى كيف يمكن الاستفادة من مخرجات هذه الحرب الدائرة، أو على الأقل كيف يمكن أن نتلافى ما يمكن أن يشكل ضرراً على شعوبنا وبلداننا.

لقد أوضحت الحرب حتى الآن بعض الحقائق، أهمّها أن «الغرب» بلغ حدّاً من العنصرية لم يسبقْ له مثيل، تجلّى ذلك في التصرّفات والمواقف تجاه اللاجئين، بتصنيفاتهم المختلفة، سواء في تحديد من يحقّ له دخول هذه الدولة أو تلك، ومن يحقّ له ركوب القطار ومن يرمى منه، أو في القوانين المطبقة على اللاجئين بحسب تلك التصنيفات. لقد أظهرت العقوبات التي فرضت على روسيا، أن العنصرية الغربية ليست فقط ضد المسلمين أو الشرقيين، بل ضد كل من يقف في طريقهم سواء كان أبيض أو غير أبيض، مسلماً أو غير مسلم، كاثوليكياً أو أورثوذكسياً... وصلت العقوبات ذات الطابع العنصري إلى موقف سلبي من ثقافة روسية عريقة، ومن كتّاب روس أثروا الثقافة الإنسانية، وتم طرد الطلبة الروس من جامعات غربية يفترض أنها تمثّل رمزاً للانفتاح والتسامح والتحرّر والديموقراطية وحقوق الإنسان. لقد فتحت الحرب الأوكرانية أعيننا على مدى الهيمنة التي يمارسها الغرب علينا كعرب وكشرقيين وعلى كل الشعوب وحتى الدول الضعيفة وغير الضعيفة في العالم، الصديقة منها للغرب أو غير الصديقة.

الولايات المتحدة تحدّد للشعوب وللدول أصدقاءها وأعداءها، ما يمكن أن تعمله وما لا يمكن، تقرّر مَنْ من الدول تستطيع أن تنقّب عن ثرواتها ومن لا تستطيع، ومن يجوز له أن يزرع القمح أو عليه استبداله «بالفراولة» مثلاً. لقد أجبرت الولايات المتحدة العراق على إنهاء عقده مع شركة «سيمنز» الألمانية لإنتاج الكهرباء في العراق وأجبرته على الارتباط كهربائياً بالسعودية والأردن. وأجبرت دولة كاستراليا على فسخ العقد الذي وقعته لشراء غواصات فرنسية واستبدلتها بغواصات أميركية... عند الولايات المتحدة لا فرق بين حليف وغير حليف، وصديق وغير صديق، فالكل يجب أن يلتزم بما تمليه الإرادة الأميركية العليا.

من أهم ما كشفته الحرب الأوكرانية حتى الآن، على الأقل في منطقتنا، أن بعض الأنظمة الموالية للولايات المتحدة هي ليست راضية تماماً عن تلك العلاقة، وهي تتحيّن الفرص للتحرّر ولو بشكل بسيط من تلك العلاقة الهيمنة). لقد ثبت بشكل أو بآخر أن ارتباط تلك الأنظمة بأميركا ليس بالضرورة نابعاً من إرادة مستقلة، أو من إعجاب بها، وإنما هي على الأغلب -على الأقل في بعض جوانبها- استجابة للخلل القائم في النظام العالمي، وتعبيراً عن ضعف هذه الأنظمة أمام التحدّيات التي تواجهها، وانقاء لشر الدول الأقوى بما فيها الولايات المتحدة نفسها. لقد أثبتت قمّة الرياض الأخيرة بقيادة بايدن، وفي ضوء ما يجري في أوكرانيا حالياً، مدى رغبة بعض تلك الأنظمة في تقليل منسوب الهيمنة الأميركية عليها، رغم وضوح بايدن في عدول الولايات المتحدة عن قرارها مغادرة المنطقة لأنها لا تريد أن تترك فراغاً تملؤه الصين أو روسيا أو إيران.

في ضوء هذه «الحقائق» التي تأكدت من ما جرى في أوكرانيا حتى الآن وانعكاسات ذلك على النظام العالمي، أقول إن الاصطفاف مع روسيا أو أوكرانيا والغرب بالنسبة لشعوب منطقتنا ودولها ليس هو جوهر الموضوع، بل إن مهمّتنا الأساسية، وسؤالنا الأساس، هو كيف على شعوبنا ودولنا أن تعمل لكي تكون أحد الأقطاب التي تتشكّل في النظام العالمي الآتي، بخاصة أن منطقتنا تملك كل المقوّمات المطلوبة لذلك. إنها فرصة تاريخية قد تأتي بها تلك الحرب لكي تسعى شعوب الشرق للتخلّص من كل أشكال الهيمنة، ولتستعيد سيادتها واستقلالها الحقيقي، وذلك بتقاربها وتكاملها ووعيها الجيوستراتيجي بمصالحها المشتركة ومصيرها الواحد. في كتابي المعنون «تحرير الشرق... نحو إمبراطورية شرقية ثقافية»، تم الحديث عن ضرورة وعي شعوب المنطقة لمصالحها المشتركة بانتظار «الفرصة التاريخية» التي قد تأتي لتجعل بالإمكان إنشاء «إمبراطورية» الشرق التي تشكّل قطباً وازناً وموازناً بين الأقطاب الأخرى في العالم. إن أي نظام عالمي مقبل لن يكون عادلاً ومتوازناً وأخلاقياً إذا استمرّت شعوب الشرق مفرقة وضعيفة ومهيمناً عليها من أي كان، وإذا استمر الشرق ساحة لصراع الآخرين، ولا يشكل لهم إلا مصدراً للثروات الطبيعية، وسوقاً للاستهلاك. إن العالم سيصبح أكثر استقراراً وأمناً وثراء في ظل وجود ثقب شرقي سيد ومستقل ومتوازن.

من المهم أن تعرف الأطراف المتقاتلة الآن في أوكرانيا أن السعي لنظام عالمي جديد متعدد الأقطاب لن يكون حقيقياً في ظل وجود دول تحتل شعوباً أخرى وتمارس العنصرية على تلك الشعوب، والمعني هنا بالأساس إسرائيل. إن حديث أي من المتصارعين في أوكرانيا، وبالأساس روسيا والرئيس بوتين، وكذلك الصين، عن نظام عالمي جديد لن يكون صادقاً ومطمئناً إذا لم يقترن بالتعامل مع إسرائيل كدولة احتلال وبالتعامل مع الصهيونية كفكر عنصري، وأن النظام العالمي العتيد هو الذي ينبذ الاحتلال وأية عنصرية مهما كانت. لقد تميّز النظام العالمي الذي نشأ بعد الحرب العالمية الثانية بتجريم النازية ونبذها، والنظام المقبل لن يكتمل إلا إذا نبذ الأفكار العنصرية التي تسمح وتبرّر انتهاك حقوق الشعوب المضطهدة وفي مقدّمها الشعب الفلسطيني.

* كاتب وأكاديمي فلسطيني

الحدث

لم يخرج مولود جاويش اوغلو، في تصريحاته الاخيرة حول محادثاته مع فيصل المقداد، عن المؤشرات التي ما فتئت انقرة تبعث بها في الاونة الاخيرة، حول رغبتها في الانفتاح التدريجي على دمشق، بهدف إيجاد حلول لأزمة اللاجئين وتحقيق مكاسب ميدانية. يمكن رجب طيب إردوغان تجييرُها لمصلحته في الانتخابات الرئاسية. وعلى رغم أن تلك التصريحات أثارت موجة غضب ورفض في الشمال السوري، قادتها اطراف عدّة تجمع في ما بينها المصلحة في بقاء الوضع القائم، إلّا أن تركيا بدت راغبة في ضبط الشارع بما يتوافق مع تكتيكاتها السياسية، وفي الوقت نفسه استثماره في الضغط على شريكَي «استانا»، موسكو وطهران، ومن خلفهما دمشق

أنقرة تغضب جماعاتها: خطوة أولى نحو دمشق

علاء حلبي

خلال مؤتمر صحافي لوزير الخارجية التركي، مولود جاويش أوغلو، وفي ردّه على سؤال يتعلّق بالأوضاع في سوريا، أجاب رأس هرم الدبلوماسية التركية باستفاضة، شارحاً موقف بلاده من الانفتاح على دمشق، والذي وضع له شروطاً متّصلة بـ«الحرب على الإرهاب»، في إشارة إلى «قسد» التي تراها أنقرة امتداداً لحزب «العمال الكردستاني»، مشيراً في الوقت ذاته إلى الاقتتال الذي بات مترسّخاً لدى تركيا بضرورة إجراء ما سمّاه «مصالحة» بين الحكومة والمعارضة لضمان وحدة الأراضي السورية. أوغلو أشار أيضاً، في سياق حديثه، إلى «لقاء عابر على الواقف» أجراه مع وزير الخارجية السوري، فيصل المقداد، على هامش اجتماع مجموعة دول «حركة عدم الانحياز» في بلغراد، في تشرين الأول من العام الماضي، نافياً وجود أيّ تواصل مباشر بين الرئيسَين التركي رجب طيب إردوغان، والسوري بشّار الأسد، مفنّداً بذلك شائعات أطلقتها وسائل إعلام مرتبطة بحزب «العدالة والتنمية» الحاكم في تركيا بهذا الخصوص، كانت قد نفتها دمشق أيضاً. غير أنه عاد وأكد أن موسكو تدفع في الاتّجاه المذكور، والذي تريد تركيا، في المقابل، أن يبدأ بلقاءات

> تزامنت حركة الإضرابات في الشمال السوري مع ظهور موجة رفض للسلطة الأمنية التي تفرضها تركيا

أمنية في الوقت الحالي، تتركّز، بحسب ما يُفهَم من كلامه، على «اتفاقية أضنة» الموقّعة عام 1998 بين سوريا وتركيا.

ولم يكد الوزير التركي ينتهي من تصريحاته، حتى بدأت تظهر دعوات في الشمال السوري إلى الخروج في تظاهرات رافضة لها، تحت عناوين عديدة؛ أبرزها «لا للصلح». على إثر ذلك، شهدت مناطق عدّة تسيطر عليها فصائل تابعة لأنقرة، وأخرى في إدلب التي تحكمها «هيئة تحرير الشام»، تظاهرات تخلّلتها - في ريف حلب الشمالي - عمليات إحراق للعلم التركي، وهتافات مناوئة لأنقرة. وأفادت مصادر ميدانية، «الأخبار»، بأن هذه التظاهرات خرجت لدوافع عديدة، بعضها شخصي يتعلّق بوجود تيّارات رافضة لأيّ انفتاح على دمشق، وبعضها الآخر مرتبط بجهات بعينها لا ترغب في تغيير الوضع القائم، من بينها صناعيين وتجّار يملكون استثمارات عديدة ويستفيدون من ارتباط مناطقهم بالاقتصاد التركي، وبعضها الثالث تقف وراءه تيّارات تابعة لـ«الإخوان المسلمين»، الذين بدا نشاطهم يطفو على السطح في أعقاب عمليات إعادة هيكلة قامت بها تركيا لـ«الائتلاف» المعارض، قلّصت بموجبها حضورهم داخله.

وجاءت موجة الاحتجاج الجديدة تلك، بالتزامن مع ظهور بوادر تمرّد على السلطة الأمنية التي تفرضها تركيا في الشمال، تجلّت في عمليات شطب لعبارات مؤيّدة لأنقرة، واستبدال أخرى بها ترفض هذه التبعية، وهو ما أعقبته حملة أمنية ألقت خلالها الفصائل القبض على عدد من الأشخاص، وعمّمت أسماء آخرين، بتهمة «الإساءة لتركيا». ويبدو أن حركة الإضرابات هذه خرجت عن السيطرة في بعض المواقع، وخصوصاً بعد إحراق العلم التركي، والذي استنفرت أنقرة على إثره قادة الفصائل وبعض المؤثّرين في الشارع من أجل استنكار الواقعة بوصْف المحروق «راية مقدسة»، والدعوة إلى احترام «التضحيات التركية والعلاقة المتينة مع أنقرة». كما أصدر «المجلس الإسلامي»، الذراع الدينية لأنقرة في الشمال، بياناً اتّهم فيه «مندسّين» بالوقوف وراء ما سمّاه «حرْف الأمر عن مساره وتهديد مصالح الثورة».

وفي السياق نفسه، كشفت مصادر الميدانية أن اجتماعاً عقده مسؤولون أمنيون وعسكريون أتراك، مع قادة بعض الفصائل في ريف حلب الشمالي، أبلغوا فيه الأخيرين ضرورة منْع انزلاق الشارع إلى معاداة تركيا، بشتّى السبل، ومن بينها اعتقال الأشخاص «المسيئين»، مُتوقّعة اعتقال مَن أحرقوا العلم وردّدوا شعارات مناوئة لأنقرة بتهم عدّة؛ من بينها «الإساءة لتركيا»، و«إلحاق الضرر بالمال العام»، ولا سيما مع انتشار فيديو الإحراق في وسائل الإعلام التركية، وإثارته مخاوف من موجات عنف جديدة ضدّ اللاجئين السوريين في تركيا. وعلى عكْس حالة الانفلات التي ظهرت في مناطق سيطرة الفصائل، لم تشهد إدلب، التي يُحكِم أبو محمد الجولاني سيطرته عليها، أيّ حوادث تُذكَر، في ما من شأنه أن يضيف نقطة إضافية إلى رصيد الجولاني الذي ترغب أنقرة في توحيد مناطق نفوذها تحت سيطرته.

بالتوازي مع ذلك، وفي محاولة لتخفيف حدّة الاحتقان، وفي الوقت نفسه استثمار حركة الشارع في الضغط على دمشق، خرج المتحدّث باسم الخارجية التركية، تانجو بيلجيتش، ببيان لتفسير تصريحات أوغلو، ذكر فيه أن تركيا أدت دوراً رائداً في الحفاظ على وقف إطلاق النار، وإنشاء «اللجنة الدستورية» من خلال عمليّتَي أستانا وجنيف، وقدّمت الدعم الكامل للمعارضة ولجنة التفاوض في العملية السياسية، مُحمّلاً دمشق مسؤولية عرقلة الحلّ السياسي. وختم بيانه بالتأكيد أن تركيا «ستواصل مساهمتها النشطة في الجهود المبذولة لتهيئة الظروف المناسبة للعودة الطوعية والآمنة للاجئين، وإيجاد حلّ للنزاع وفقاً لخريطة الطريق المنصوص عليها في قرار مجلس الأمن الدولي الرقم 2254، بالتعاون مع جميع أصحاب المصلحة في المجتمع الدولي». وبينما اشتعلت مواقع التواصل الاجتماعي بمواقف رافضة لأيّ انفتاح تركي على دمشق أطلقها قياديون في الفصائل، لم تَخرج عن «الائتلاف» أيّ تصريحات في هذا السياق، في استمرار لسياسة الصمت التي اتّبعها طوال الشهر الماضي، بعد توالي التصريحات التركية حول الرغبة في التعاون مع الحكومة السورية. وتفسّر المصادر نفسها التي تحدّثت إليها «الأخبار»، ذلك، بأنه رغبة من أنقرة في فصْل ما يجري في الشارع عن المسار السياسي، لاستثمارهما معاً في الضغط على دمشق وموسكو وطهران، ما يعني في المحصلة ربْط أيّ خطوة نحو دمشق باستمرار المصالح التركية، وما ينجم عنها من مكاسب.

خرجت الإضرابات في بعض مناطق الشمال السوري عن السيطرة بعد إحراق العلم التركي (أ ف ب)

العراق

«التنسيقي» نحو اعتصام مضادّ مفتوح: منازلة الشارع تتكرّس

اختار طرفا المواجهة السياسية في العراق العودة إلى لغة الشارع، في التعبير عن مطالبهما المتضادّة، والتي بدا الوهلةَ في الأيام الماضية أنها قد تجد سبيلها إلى الالتقاء عند نقطة ما، قبل أن تأتي منازلة أمس في «المنطقة الخضراء». وتعيد فتْح الأبواب على تصعيد محفوف بالمخاطر. والظاهر أن مقتدى الصدر لم يستنفد أوراقه كلّها في هذه اللعبة، التي يريد إيصالها إلى ذروتها أملاً بنَيْل مطالبه المتمثّل في إجراء انتخابات مبكرة في ظلّ الحكومة الحالية. بينما يجد «الإطار التنسيقي» نفسه مرغماً على النزول إلى الملعب عينه، حتى لا يجد نفسه مجرَّداً من أيّ ورقة في مواجهة شارع ضاغط، على رغم اعتقاده بأن الصدر سيضطرّ في نهاية المطاف إلى الجلوس حول طاولة التفاوض

بغداد – سُرى جياد

نهايةُ أسبوع حامية عاشها العراقيون، مع توسيع أنصار «التيار الصدري» تحرّكهم في الشارع، ليشمل أنحاء البلاد كافة، مطالبين بحلّ مجلس النواب عبر القضاء. توسيع استبطن مخاطرة بالانجرار إلى صدام مع جمهور «الإطار التنسيقي»، الذي أنزل جمهوره، هو الآخر، إلى ساحات التظاهر، بعدما سدّ زعيم «الصدري» مقتدى الصدر، كلّ أبواب التفاوض. وجاء اختيار الطرفين التوقيت نفسه للتظاهر على أسوار «المنطقة الخضراء»، أي الخامسة بعد ظهر أمس، ليعيد فتح احتمالات المواجهة، والتي كان الطرفان قد أبديا حرصاً شديداً على تجنّبها. وعلى رغم أن الصدر جدّد دعوته، أمس، إلى الحفاظ على السلمية، مُتوجّهاً إلى جماهير «التنسيقي» بالقول: «إن قرّرتم التظاهر تزامناً مع تظاهرات الإصلاح، فلْتكن تظاهراتكم سلمية ولْتحافظوا على السلم الأهلي»، إلّا أنه استدرك بأن «أيدينا ممدودة لكم يا جماهير الإطار دون قيادته لنحاول إصلاح ما فسد»، في مقابل إعلان الأخير، مساءً، «الاعتصام المفتوح حتى تحقيق المطالب العادلة»، وهو ما يشي بأن لُعبة الرهان على الشارع لم تصل إلى خواتيمها بعد.

وياتي التصعيد الأخير بعدما أمهل الصدر القضاء العراقي حتى نهاية الأسبوع لحلّ مجلس النواب، وهو ما يرفضه «التنسيقي» الذي يريد الاتفاق على شروط الانتخابات الجديدة، قبل أن يقوم المجلس بحلّ نفسه، وفق ما ينصّ عليه الدستور، لا أن يحلّه القضاء وعن الخطوة التالية لـ«الصدري»، يقول القيادي في التيار، النائب السابق رياض المسعودي، لـ«الأخبار»، إنه «إذا لم يأخذ القضاء دوره الحقيقي في تصحيح مسارات الأخطاء الدستورية... فستكون للشعب العراقي الكلمة الفصل»، لافتاً إلى أن «الدستور العراقي هو دستور أغلبية وليس دستور إجماع، كما يروّج له البعض، لهذا لم تعمل جميع القوى السياسية أو الأغلب الأعمّ منها وفق مبدأ الأغلبية، وإنّما عملت على أساس المحاصصة وما يُعرف بالإجماع وتقسيم الكعكة بين جميع الشركاء... وهذه نقطة تسبّب إشكالية حقيقية». وينفي المسعودي أن يكون الخلاف الحالي «خلافاً شخصياً بين التيار الصدري وبقيّة القوى السياسية الشيعية، أو تنافساً بغرض المصالح والحصول على مكتسبات تتعلّق برئاسة الوزراء، أو قضية تخصّ مكوّناً أو حزباً أو طبقة سياسية أو اجتماعية أو فكرية»، مبيّناً أن «القضية ترتبط بوجود رؤية حقيقية لدى الصدر الذي يسعى على الدوام إلى بناء مشروع سياسي عراقي واعد، مرتكزاته الأساسية حكومة عراقية قوية... تنتشل البلاد من الواقع السياسي والاقتصادي والأمني والاجتماعي والبيئي والإداري الكارثي».

ويرى القيادي «الصدري» أن «التيار يخطو خطوات شعبية دستورية إصلاحية، بينما بقيّة القوى السياسية تخطو خطوات تصعيدية غير دستورية وغير شعبية»، متابعاً أن «التيار لا ينشد الحلول المحاصصاتية والترقيعية، وإنّما ينشد الحلول الاستراتيجية والمستدامة والثابتة». ويؤكد («أنا» ساعون في اتّجاه تصغير المشكلات وتحديد المعايير التي يمكن من خلالها تحقيق قفزات نوعية في العملية السياسية برمّتها»، مضيفاً إن «مطالب التيار الصدري واضحة، وهي ليست جديدة؛ ففي عام 2014، اقترحنا حكومة تكنوقراط من المستقلّين، وفي عام 2018 أيضاً طالبنا بذلك. وبعد انتخابات تشرين الأول الماضي، هناك جهات عطّلت؛ فعدم حضور 130 نائباً في جلسة انتخاب رئيس الجمهورية هو ليس من مبدأ الأغلبية، وإنّما من مبدأ التعطيل». ويختم حديثه بالقول إن «رؤيتنا واضحة وثابتة»، وعنوانها «تصحيح وتغيير مسارات العملية السياسية وليس ترقيعها». وفي الاتجاه نفسه، أكد خطيب صلاة الجمعة التابع لـ«الصدري»، مهند الموسوي، أمس، أن «لا تراجع عن مطالب الثورة ولا مساومة عليها لأنها مطالب الشعب»، واصفاً «الرهان على كسْر شوكة الصدر» بأنه «بائس وفاشل».

> يطالب «التنسيقي» الصدر بإخراج جمهوره من «الخضراء» قبل الذهاب إلى الحوار

في المقابل، دعا «الإطار التنسيقي»، في البيان الصادر عن اللجنة المنظّمة لتظاهراته مساء أمس، إلى «الإسراع في تأليف حكومة خدمة وطنية كاملة الصلاحيات وفق السياقات الدستورية»، مشدّداً على ضرورة «التعجيل في حسم مرشّح رئاسة الجمهورية وتكليف مرشّح الكتلة الأكبر برئاسة الوزراء»، معلناً «الدعم التامّ للقضاء العراقي، ورفض أيّ تجاوز عليه، ومطالبة رئيس مجلس النواب بإنهاء تعليق العمل والتحرّك لإخلاء المجلس». يرى القيادي في «الإطار التنسيقي»، جبار المعموري، في حديث إلى «الأخبار»، أن «هناك مؤشّرَ إصلاح يحاول أن يبرّر انتهاكاته التي ارتكبها وهو في باحة البرلمان، وتجاوزه على مؤسّسات الدولة؛ وهناك فريق آخر يريد الحفاظ على مؤسّسات الدولة والشرعية، يتمثّل في الإطار التنسيقي، الذي تظاهر أمس، كما سابقاً، على أسوار المنطقة الخضراء للمطالبة بالحفاظ على الدستور والقانون والشرعية». ويتّهم المعموري الحكومة الحالية برئاسة مصطفى الكاظمي بأنها «عاجزة وتابعة وخانعة»، عبر فتْحها المجال أمام انصار الصدر لـ«دخول الخضراء والعبث بها». ويؤكد «أننا سنحتكم إلى القضاء، وهو الفيصل بيننا»، متوقّعاً أن يوعز الصدر، في نهاية المطاف، إلى أنصاره بالانسحاب «ثمّ نجلس جميعاً للتفاهم». وحول رؤيته للحلّ، يعتقد أنه «يجب أن يكون تحت قبّة البرلمان الذي ينبغي أن تنعقد جلساته»، معتبراً ذلك «الخيار الأفضل الذي سيحقّق مطالب الشعب وخدمته». ويتحدّث عن «حوارات قريبة سوف تأخذ بشروط الطرفين»، مرجّحاً «التوصّل خلال الأيام المقبلة إلى تفاهمات وحلّ وسط».

جاء اختيار الطرفين التوقيت نفسه للتظاهر على أسوار «المنطقة الخضراء» ليعيد فتح احتمالات المواجهة (أ ف ب)

قضيّة

يُنذر التوتّر الذي نشب بين حكومة بريشتينا وصرب كوسوفو، الذين لا يعترفون باستقلالها، كما صربيا وحليفتها روسيا، بعودة حربٍ لم تندمل جروحُها بعد. سريعاً، لوّح «حلف شمال الأطلسي» باستخدام قوّته المُنتشرة في «الجمهورية» غير المعترف بها أُمميّاً، فيما تدخّل الاتحاد الأوروبي الذي تعترف معظم دُوله بها، لإعادة الطرفَين إلى طاولة الحوار. وتُرخّم الأزمة الراهنة الاتهامات بدور لروسيا، من خلال صربيا، في ما يجري من تطوّرات عند الحدود. ليست بعيدة من الحرب الدائرة في أوكرانيا

قنبلة كوسوفو الموقوتة

شبح الانفجار ينزاح... ولا يرحل

صهيب العتر

دقّ إطلاق النار، أخيراً، عند الحدود بين صربيا وكوسوفو، ناقوس خطر تَجدّد الأحداث الدامية التي وقعت بين الطرفَين، في نهاية القرن الفائت. الأزمة بدأت بفرض بريشتينا (عاصمة كوسوفو)، بداية من آب 2022، تصاريح إقامة مؤقّتة على الأشخاص الذين يدخلون العاصمة ببطاقة هويّة صربية، وإلزام صرب كوسوفو باستبدال لوحات «جمهورية كوسوفو» بلوحات تسجيل سيّاراتهم. ودفع هذا القرار الأقلية الصربية إلى الاعتراض بإقفال الطرق المؤدّية إلى معبرَي يارينجي وبرنجاك الحدوديَّين مع صربيا، علماً بأن عدد الصرب الذين يعيشون في المنطقة الشمالية لكوسوفو يصل إلى 50 ألفاً، وهم لا يعترفون بالاستقلال وبالمؤسّسات التابعة للعاصمة بريشتينا، ويُصرّون على استخدام الوثائق الصربية. ووفق شرطة كوسوفو، فإن التوتّر الذي نشب في المنطقة تطوّر إلى إطلاق أعيرة نارية «باتجاه وحدات الشرطة، لكن لحُسن الحظ لم يُصب أحد». كما اعتدى متظاهرون غاضبون بالضرب على «العديد من الألبان الذين كانوا يمرّون على الطرق التي أغلقت». كذلك، دوّت صفّارات الإنذار الخاصة بالغارات الجوّية لأكثر من ثلاث ساعات في بلدة ميتروفيتشا الشمالية الصغيرة، التي يُشكّل الصرب أغلب سكّانها.

صربيا: لن نستسلم... وسننتصر

خرج الرئيس الصربي، ألكسندر فوسيتش، في خطاب إلى «الأمّة الصربية»، عقب الاحتجاجات التي نشبت على حدود الجانبَين، ليؤكد بوضوح دعمه الحركة الاحتجاجية، وعزمه على حماية صرب كوسوفو. «لن يكون هناك استسلام وستنتصر صربيا. إذا حاولوا البدء في اضطهاد الصرب، التنمّر على الصرب وقتْل الصرب، فإن صربيا ستنتصر»، قال فوسيتش، سريعاً، دخلت الولايات المتحدة عبر سفيرها في كوسوفو، جيفري هونفيه، على خطّ الأزمة، لتُعلن حكومة بريشتينا عقب اجتماع معه، تأجيل موعد تنفيذ قرارها إلى الشهر المقبل، فيما قابل صرب كوسوفو خطوة الحكومة برفع الحواجز التي أغلقوا بها المعبرين الحدوديَّين. وفيما اتّصل الأمين العام لـ«حلف شمال الأطلسي»، ينس ستولتنبرغ، بالرئيس الصربي ورئيس وزراء كوسوفو، ألبين كورتي، ونبّههما إلى استعداد قوة «كفور» الأطلسية، المُؤلّفة من 3775 جندياً من 28 دولة، للتدخّل «إذا تعرّض الاستقرار للخطر»، دعا وزير خارجية الاتحاد الأوروبي، جوزيب بوريل، كلا الطرفَين إلى بروكسل، وقبل الرئيس فوسيتش ورئيس الوزراء كورتي دعوته، وسيجتمعان في 18 آب الجاري مع الممثّل السامي والممثّل الخاص للاتحاد الأوروبي، ميروسلاف لاجاك، لمناقشة سبل المُضيّ قُدُماً في إطار الحوار بين بلغراد وبريشتينا. وعلى رغم كلّ جهود سحب فتيل التوتر، تجدّد إطلاق النار في 6 آب الجاري نحو شرطة كوسوفو، من دون إصابة أحد.

بداية الألام

تقع كوسوفو في منطقة البلقان (جنوب شرق أوروبا)، وتحدّها من الشرق والشمال صربيا، ومن الغرب الجبل الأسود، ومن الجنوب الغربي ألبانيا، ومن الجنوب مقدونيا الشمالية. ويعيش فيها أكثر من مليون و800 ألف نسمة، غالبيّتهم ألبان (مسلمون) وإلى جانبهم أقلّية صربية (أرثوذكسية) وقوميات أخرى. تمتّعت كوسوفو بالحُكم الذاتي ضمن الاتحاد اليوغوسلافي الذي نشأ بعد الحرب العالمية الثانية. وفي عام 1989، أطلق الرئيس الصربي، سلوبودان ميلوشيفيتش، الشرارة الأولى لأحداث الدامية التي ستندلع بعد سنوات، بإلغائه - في الذكرى الـ 600 لهزيمة الصرب أمام العثمانيين في كوسوفو - الحُكم الذاتي الذي منحه دستور عام 1974 للإقليم، واستخدامه القوّة لإحكام سيطرته عليه. رفضت الغالبية الألبانية ذلك، وأعلن قادتها في العام التالي استقلال كوسوفو، قبل أن يُنتخب الكاتب الألباني، إبراهيم روغوفا، رئيساً لها، في عام 1992. أخذ التوتّر بين الجانبَين منحى تصاعدياً، حتى خرجت الأمور من عقالها في عام 1998، لتبدأ حرب مفتوحة بين «جيش تحرير كوسوفو» الألباني وصربيا، انتهت في عام 1999 بتدخّل «حلف شمال الأطلسي» لمصلحة الألبان. ومع انسحاب صربيا من كوسوفو وانتشار 45 ألف عسكري للحلف في الإقليم، كان عدد القتلى والمفقودين قد تجاوز 13,500 شخص، معظمهم مدنيون ألبان (ما يزيد على 8 آلاف قتيل أو مفقود)، علماً بأن عدد القتلى والمفقودين في صفوف المدنيين الصرب تجاوز 1700 شخص، بينما هرب آلاف آخرون من الإقليم تحت موجة من الهجمات الانتقامية. أجرت كوسوفو أوّل انتخابات عامّة بعد الحرب في عام 2001، وأعلنت استقلالها في عام 2008، على رغم الرفض الصربي المدعوم من روسيا، التي منعت الاعتراف بكوسوفو في مجلس الأمن الدولي، في مقابل دعم الولايات المتحدة والدول الأوروبية الأساسية لاستقلالها، ليتجاوز عدد الدول التي أعلنت اعترافها بالاستقلال، مع الوقت، المئة دولة.

بالعودة إلى الأزمة الراهنة، ليست هذه المرّة الأولى التي تحاول فيها بريشتينا فرض تبديل اللوحات على صرب كوسوفو؛ إذ تراجعت قبل عام عن محاولة مماثلة، عقب احتجاجات في المنطقة الشمالية نشرت خلالها بريشتينا قوات شرطة خاصة، وأطلقت بلغراد طائرات مقاتلة بالقرب من الحدود. ترى كوسوفو أن من حقّها فرض سيادتها «على جميع أراضيها»، كما تضع فرْضها الإقامات المؤقّتة على حاملي الهويات الصربية في إطار «المعاملة بالمثل»، حيث تفرض بلغراد إجراءً مماثلاً على حاملي الهويّات الكوسوفوية. في المقابل، ترفض صربيا المقارنة؛ فكوسوفو بالنسبة إليها «ليست دولة مستقلّة (...) هي جزء من صربيا بموجب القانون الدولي».

«بوتين الكبير» يُشعل البلقان؟

عقب شنّ روسيا عمليتها العسكرية في أوكرانيا، دافع الرئيس فلاديمير بوتين عن مشروعيّتها، في اجتماع مع الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش، بتشبيه الوضع في الدونباس بالوضع في كوسوفو، التي اعترف باستقلالها «خصومنا في الغرب». استفزّ التشبيه يومها الصرب، ورأت فيه صحف صربية شعبية داعمة تقليدياً لروسيا وبوتين «طعناً لصربيا في الظهر»، ما استدعى إصدار توضيح من موسكو، أكدت فيه عدم نيّتها تغيير موقفها «الدائم وطويل الأمد» بشأن كوسوفو. ومع اندلاع الاضطرابات عند الحدود بين صربيا وكوسوفو، حرصت روسيا على إبداء دعمها للأولى سريعاً؛ فطالبت وزارة خارجيتها بـ«وقف الاستفزازات واحترام حقوق الصرب في كوسوفو»، ورفضت ما وصفته بـ«قواعد تمييزية لا أساس لها» تحاول بريشتينا فرضها على الأقلّية الصربية، فيما اتّهم السفير الروسي في بلغراد، ألكسندر بوتسان خارتشينكو، القوى الغربية بالسعي عبر «الضغوط والاستفزازات» إلى إجبار بلغراد على التخلّي عن رفض الانضمام إلى عقوبات الاتحاد الأوروبي على روسيا، بشأن أوكرانيا. ورأى الرئيس الصربي، الكسندر فوسيتش، من جهته، أن بريشتينا «تحاول دائماً أن تجعل من نفسها ضحية، والاستفادة من الحالة المزاجية السائدة في العالم، إذ يعتقدون بأنهم يمكنهم اللعب بورقة: أمر بوتين الكبير بوتين الصغير!»، في إشارة إلى الاتهامات حول مسؤولية روسيا عن إشعال الاضطرابات في البلقان، عبر صربيا. وهي اتّهامات كانت قد عبّرت عنها رئيسة كوسوفو، فيوسا عثماني، بوضوح، عندما قالت إن الرئيس الصربي «يدعم الهياكل غير القانونية في شمال كوسوفو، والتي تتكوّن من العصابات الإجرامية. ومن خلالهم ومن خلال التلاعب بهم، فإنهم يحتجزون الأقلّية الصربية التي تعيش في كوسوفو رهينة لهذه السياسات الخاطئة»، مضيفةً: «نعيش بجوار جار تسيطر عليه روسيا بالكامل. ليست اتّهاماتنا التي تصعّد الموقف، إن أفعالهم هي التي تصعّد الموقف وتخلق التوترات».

هذه السردية التي تُلقي باللوم على روسيا في السعي إلى إشعال منطقة البلقان، الخاصرة الرخوة لأوروبا، والتي تماهت معها وسائل إعلام غربية - من مثل «واشنطن بوست» و«بلومبيرغ» الأميركيتَين -، ربطت ما يجري عند الحدود بين الجانبَين بالحرب في أوكرانيا، فندّدت الـ«برافدا» الروسية، التي بثّت أنه «في حال تهديد صربيا عسكرياً، لن يساعدها أحد سوى روسيا. لكن في الظروف الحالية، حيث يشارك الجيش الروسي وقوات البلاد وموارِدها الأخرى في العملية الخاصة في أوكرانيا، فإن هذا، وفقاً لجميع الخبراء تقريباً، مستحيل عملياً».

العالم | تونس

سنسعى واشنطن إلى إزاحة سعيّد بأيّ ثمن (أ ف ب)

نهاية «الغموض» الأميركي: سعيد يستعيد بريقه

تونس - **الأخبار**

خرج وزير الدفاع الأميركي لويد أوستن أخيراً ليتعهّد بالعمل بكلّ الطرق من أجل «إعادة الديموقراطية» إلى تونس، بما يشمل بالطبع تعويم أصدقاء واشنطن، وعلى رأسهم حركة «النهضة»، التي لم توقف الولايات المتحدة دعمها للحكومات التي نصّبتها أو شاركت فيها على امتداد العشرية الماضية، على رغم كلّ مؤشّرات استفحال الفساد السياسي في البلاد، والتي كشفتها منظّمات تموّلها السفارة الأميركية نفسها في تونس.

إذ لم تكن واشنطن لتستغني عن «حليف» يمكّنها من إبقاء رقابتها مسلّطة على الحوارات الليبية - الليبية، ويفتح لها بوّابة باتجاه الجار الجزائري بسهولة. أمّا اليوم، فلا يبدو قيس سعيد، إلى الآن، ورقة تمكن المراهنة عليها، لا لرفضه الاستجابة لتوصيات السفارة الأميركية بحذافيرها، وإنّما أيضاً لقربه من الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون الذي يُظهر حالياً انزياحاً إلى روسيا؛ ولصياغته رؤية خاصة به في ما يتعلّق بالملفّ الليبي؛ فضلاً عن علاقة الصداقة التي تجمعه بالقيادة الإيرانية، على رغم أن تلك المحدّدات لا تظهر مندرجة في إطار استراتيجية واضحة المعالم، بقدْر ما لا تزال تكتيكات ارتجالية غامضة.

أمّا داخلياً، فقد أحدث قرار المحكمة الإدارية إيقاف تنفيذ قرارات إعفاء 45 قاضياً من بين 57، جدلاً واسعاً. إذ اعتبر مناصرو سعيد أن المحكمة تعاكس جهود الإصلاح؛ باعتبار أن جزءاً من هؤلاء القضاة متشبّه فيهم في قضايا فساد ورشوة، فيما دافع عنها المعارضون بأنها «المعقل الأخير للديموقراطية والمؤسّسات غير الخاضعة لتعليمات سعيد». وإذ يُطرح تساؤل عمّا إذا كان هذا القرار سيشكّل بوابة لسعيد للخروج من مأزق إعفاء القضاة، أم أنه سيمضي في تصعيد خطواته تجاه الأخيرين، فإن ما جرى يُظهر ضعفاً كبيراً في منظومة الرئيس ومستشاريه ووزرائه؛ بالنظر إلى أن سند إبطال قراراته كان في أغلب الحالات غياب ملفّ فساد واقتصار الأمر على شبهة أو تقارير أمنية، وهو ما يسهّل عملية إلغائها.

بعض قياداتها الجيش التونسي إلى أخذ زمام المبادرة، بالاستفادة ممّا عدّته «ضوءاً أخضر» أميركياً، علماً أن «النهضة» كانت بذلت جهوداً كبيرة، عبر مجموعات الضغط في واشنطن، من أجل تعديل موقف الإدارة الأميركية ممّا يجري في تونس. وإذ تستبطن تلك الدعوة خطوة كبيرة، كونها تعني الحضّ على الصدام بين المؤسّسة العسكرية والقوى المدنية أو حتى المؤسّسة الأمنية، فقد بدأ «الاتحاد العام التونسي للشغل» متنبّهاً إلى هذه الخطوة؛ إذ اتّهم «النهضة» وحلفاءها بالرغبة المحمومة في العودة إلى الحُكم وإن كان على ظهر دبابة أميركية ومقابل خراب واسع للبلاد، واصفاً تصريحات أوستن بـ«التهديد الصريح والواضح للتونسيين». وحتى المعارضة الوسطية الاجتماعية لم تحتفِ بالتصريحات الأميركية، بل اعتبرتها مؤشّراً إلى حراك خفي لبعض الأطراف الداخلية بهدف استدراج تدخّل أميركي، وطالبت سعيد في الوقت نفسه بإدخال إصلاحات سياسية. وبالتوازي مع ذلك، جاءت مكالمة الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون مع نظيره التونسي، لتنبئ بتوسّع جبهة الضغط الخارجية على الأخير، عبر مطالبته بالإصلاح في مقابل تقديم ضمانات لصالح تونس في مفاوضاتها مع «صندوق النقد الدولي».

والظاهر أن مبالغة سعيد في اعتماد خطاب السيادة الوطنية، ورفضه التدخّل الأجنبي في القرار التونسي، وما تسرّب عنه عبر مديرة ديوانه السابقة ناديا عكاشة، من رغبة محمومة في طرد السفير الأميركي السابق من البلاد لولا أن أوقفه مستشاروه، كلّها مؤشّرات أفهمت واشنطن بأن الرئيس لن يكون سهل المراس تجاهها. ومن هنا، اتخذت قرارها بإنهاء «مهلة السماح» التي كانت منحته إياها، وعادت إلى تصعيد خطابها في وجهه، في ظلّ حديث بدأ يسري في تونس عن احتمال تدبير انقلاب داخلي على سعيد، عبر القيادات الأمنية التي كانت اخترقتها «النهضة» خلال توليها مسؤولية وزارة الداخلية أكثر من مرّة. ولعلّ ما عزّز تلك التقديرات هو رد فعل الحركة على التصريحات الأميركية، حيث دعت

وفيات

انتقل إلى رحمة الله تعالى المرحوم
الحاج علي خليل مراد
زوجته: الحاجة ليلى محمد مراد
ابناء: الحاج كفاح ومحمد زوجته فاتن شرف الدين
ابنتاه: هبة زوجة حسان عسيران وخلود أرملة المرحوم حسن قطان
أشقاؤه: الحاج رضا، حسن، داود والمرحومون سليم ومحمود وأنيس
شقيقاته: الحاجة فتية أرملة المرحوم محمد رومية ونهدية أرملة المرحوم أسعد الله شرارة
وفوزية أرملة المرحوم سامي برجي والحاجة فاطمة أرملة المرحوم حسن سويد والمرحومة فكرية أرملة المرحوم محمد برجي.
تُقبل التعازي اليوم السبت 13 آب للرجال والنساء في بلدته الرمادية.
ويُصادف ذكرى الأسبوع غداً الأحد 14 آب 2022 للرجال والنساء من الساعة الخامسة عصراً في حسينية بلدته الرمادية.
وتُقبل التعازي في بيروت يوم الإثنين 15 آب 2022 في منزل الفقيد، الرملة البيضاء، بناية أيدن روك، بلوك B، الطابق السادس، ويوم الثلاثاء 16 آب 2022 للرجال والنساء من الساعة الثالثة عصراً حتى السابعة مساءً في مقر جمعية التخصص والتوجيه العلمي، الرملة البيضاء، قرب مركز أمن الدولة.
للفقيد الرحمة ولكم الأجر والثواب.
الراضون بقضاء الله وقدره:
آل مراد، رومية، برجي، شرارة، سويد، شرف الدين، عسيران، قطان، صليبي وعموم أهالي بلدة الرمادية.

إعلانات رسمية

إعلان عن مزايدة عمومية معادة
تجري المصلحة الوطنية لنهر الليطاني مزايدة عمومية معادة بالظرف المختوم وفق دفتر الشروط الخاص لتأجير بعض الأراضي الزراعية في محافظة البقاع لمدة ثلاث سنوات، مقسمة الى منطقتين تبلغ مساحة المنطقة الاولى 465 دونم زراعي والثاني 553 دونم زراعي على أن تبدأ المزايدة من بدل الطرح للإيجار السنوي الادنى للدونم الزراعي الواحد المحدد في دفتر الشروط والبالغة قيمته //2,100,000// ل.ل. (مليونان ومئة الف ليرة لبنانية). يمكن الاطلاع على دفتر الشروط واستلام نسخة عنه ضمن الدوام الرسمي في مكتب مصلحة الصفقات في ش. بشارة الخوري، بناية غناجه، ط4، مقابل دفع مبلغ //500,000// ل.ل. نقداً الى صندوق المصلحة، تقدم العروض باليد في القلم المركزي حتى ظهر يوم الاثنين 2022/08/29، وتفض في جلسة علنية الساعة العاشرة من اليوم التالي على العنوان أعلاه.
رئيس مجلس الإدارة / مدير عام
المصلحة الوطنية لنهر الليطاني
د. سامي علوية
التكليف 420

.....

بلاغ رقم: 2/7
تعلن وزارة الاتصالات بأنها ستضع قيد التحصيل اعتباراً من 2022/08/18 الكشوفات التالية:
كشوفات فواتير الهاتف الثابت عن شهر تموز 2022
بالإضافة الى كشوفات الفواتير المتأخرة غير المسددة ولقد حددت مهلة اقصاها 2022/09/14 لتسديدها.
وتُذكر المشتركين الكرام بالتدابير التالية:
في حال التخلف:
1- تُقطع خطوط المشتركين المتخلفين عن الدفع باتجاه واحد «للاستقبال فقط» اعتباراً من تاريخ 2022/09/13.
2 - تُقطع خطوط المشتركين المتخلفين عن الدفع بالاتجاهين اعتباراً من تاريخ 2022/10/3 وتستوفى الغرامة عن إعادة وصل الخط (11,000 ل.ل.) اعتباراً من هذا التاريخ.
3 - تُلغى اشتراكاتهم بصورة مؤقتة بعد مرور شهر واحد على تاريخ قطع الاشتراك اعتباراً من 2022/11/1 ويعاد وصله بعد تسديد المتأخرات المستحقة إضافة الى رسم اعادة وصل الخط (11,000 ل.ل) وذلك حتى تاريخ الإلغاء النهائي.
4 - تُلغى اشتراكاتهم بصورة نهائية بعد مرور ثلاثة اشهر على تاريخ الإلغاء المؤقت اعتباراً من تاريخ 2023/02/01 وتستوفى غرامة قدرها (2%) شهرياً وتحرر الارقام الملغاة وتُحصل المتأخرات بالطرق القانونية المعمول بها. إستناداً الى المادة 45 من قانون المحاسبة العمومية.
5 - يُحرم المشترك الملغى رقمه من الحصول على إشتراك جديد قبل تسديد جميع الفواتير المستحقة عليه.
ملاحظة: أ - تقطع خطوط المشتركين المتخلفين عن دفع فاتورة هاتف شهر حزيران 2022 باتجاه واحد «للاستقبال فقط» اعتباراً من تاريخ 2022/08/16.
ب - يمكن للمشتركين الملغاة خطوطهم والذين لم يسددوا فواتيرهم المتأخرة المبادرة الى تقسيط المتأخرات في صناديق المناطق الهاتفية وفي مصلحة الشؤون المالية - مبنى وزارة الاتصالات، شارع رياض الصلح وإمكانية الحصول على إشتراك جديد.
إمكانية تسديد الفواتير عبر الوسائل التالية:
- لدى أي صندوق من صناديق قبض الفواتير التابعة لوزارة الاتصالات على كافة الاراضي اللبنانية.
- لدى أي مصرف عبر توطين الفاتورة مقابل 2,000 ل.ل. للفاتورة الواحدة أو أكثر (للاستعلام اتصل بمصرفك).
- مكاتب LibanPost مقابل 2,000 ل.ل. للفاتورة الواحدة أو بكلفة 1,500 ل.ل. للفاتورة الواحدة عبر الاشتراك بخدمة «جباية من العنوان» (للاشتراك بهذه الخدمة يمكن الاتصال بالرقم 01/629629 . مقسم 333).
- مكاتب شركة ويسترن يونيون OMT بكلفة 2,000 ل.ل. للفاتورة الواحدة.
- مكاتب شركة ويسترن يونيون BOB FINANCE بكلفة 2,000 ل.ل. للفاتورة الواحدة.
- مكاتب شركة WHISH MONEY.
- عبر شبكة الانترنت على موقع هيئة أوجيرو (ogero.gov.lb)
كما تُذكر المشتركين: بأحكام المرسوم رقم 93/4565 (المادة الثالثة منه) وتعديله بالمرسوم 11682 تاريخ 1998/01/30 لجهة تحديد مهلة اربعة اشهر للإعتراض بعد إنتهاء المهلة المحددة للدفع والمذكورة اعلاه، ووجوب تقديم طلب الاعتراض في المنطقة الهاتفية التابع لها رقم المشترك.
يُطلب من المشتركين الكرام التجاوب السريع مع مضمون هذا البلاغ، شاكرين لهم حسن تعاونهم.
بيروت في: 2 - آب 2022
المدير العام لإستثمار وصيانة المواصلات السلكية واللاسلكية
المهندس باسل أحمد الأيوبي
التكليف 403

.....

إعلان
تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض بالتاريخ 2022/9/9 تاريخ مجموعات الـ BBC في معمل الجية الحراري، موضوع إستدراج العروض رقم ث4ب/761 تاريخ 2022/2/28، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2022/9/9 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.
يمكن للراغبين في الإشتراك باستدراج العروض المذكور أعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان - أمانة السر - في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان - طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 200 ل.ل.
علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الأحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة.
تسلم العروض باليد الى أمانة سر كهرباء لبنان - في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه.
بيروت في 2022/8/8
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالإنابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 416

.....

إعلان
تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض لشراء مادة الحليب الطازج لزوم عمال معامل الإنتاج والمنتدبين من شركة كهرباء لبنان قاديشا الى معامل كهرباء لبنان، موضوع إستدراج العروض رقم ث4ب/2098 تاريخ 2022/6/9، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2022/9/9 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.
يمكن للراغبين في الإشتراك باستدراج العروض المذكور أعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان - أمانة السر - في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان - طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 100 ل.ل.
علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الأحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة.
تسلم العروض باليد الى أمانة سر كهرباء لبنان - في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه.
بيروت في 2022/8/8
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالإنابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 417

.....

إعادة إعلان
تعيد مصلحة الأبحاث العلمية الزراعية إجراء مناقصتين عامتين وبواسطة الظرف المختوم حسب التواريخ والمواعيد المحددة تجاه اسم كل منها وذلك في محطة تل العمارة الزراعية - رياق - البقاع:
اسم المناقصة، التاريخ، الموعد
1. تلزيم شراء أجهزة لزوم مشروع تسويق نظام رصد ومتابعة الي ضد ذباب الزيتون والفاكهة المتوسطية في منطقة المتوسط Commercialization of an Automated Monitoring and Control System against the Olive and Med fruit flies of Mediterranean Region الذي ينفذ في مصلحة الأبحاث العلمية الزراعية، 2022/8/23، الساعة 11,00 قبل الظهر.
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالإنابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 417

.....

إعادة إعلان
تعيد مصلحة الأبحاث العلمية الزراعية إجراء مناقصتين عامتين وبواسطة الظرف المختوم حسب التواريخ والمواعيد المحددة تجاه اسم كل منها وذلك في محطة تل العمارة الزراعية - رياق - البقاع:
اسم المناقصة، التاريخ، الموعد
1. تلزيم شراء أجهزة لزوم مشروع تسويق نظام رصد ومتابعة الي ضد ذباب الزيتون والفاكهة المتوسطية في منطقة المتوسط المموّل من الاتحاد الأوروبي والمنفذ في مصلحة الأبحاث العلمية الزراعية، 2022/8/23، الساعة الثانية عشرة ظهراً من يوم الثلاثاء.
فعلى من يهمه الأمر الحصول على دفتر الشروط الخاص المودع نسخاً عنه في محطة تل العمارة - رياق - البقاع لدى قسم المناقصات وفي محطة الفنار - جديدة المتن لدى السيد غي قاروط ضمن أوقات الدوام الرسمي علماً بأن ثمن كل نسخة عن دفتر الشروط هو خمسون ألف ليرة لبنانية.
ترسل العروض مباشرة باليد إلى إدارة مصلحة الأبحاث العلمية في محطة تل العمارة - رياق - البقاع خلال الدوام الرسمي على أن تصل العروض قبل الساعة الثالثة عشرة من آخر يوم عمل يسبق تاريخ إجراء هذه المناقصة وتهمل العروض التي تصل بعد هذا الموعد.
تل العمارة في 5 AUG 2022
رئيس مجلس الإدارة - المدير العام
ميشال انطوان افرام

مبوب

مطلوب

مطلوب موظّف لصيانة ماكنات القهوة خبرة لا تقلّ عن 3 سنوات لمنطقة البقاع.
ت: 01/680680

مطلوب موزّعون مع خبرة لا تقلّ عن 3 سنوات في بيع المواد الغذائية والمشروبات لمناطق المتن - كسروان - جبيل - بيروت والضاحية.
للمراجعة: 01/680680

تعلن «الأخبار»
عن حاجتها إلى مساهمين وكتّاب في الميادين التالية: مراجعة كتب فكرية وفلسفية، تحقيقات ثقافية، رصد إعلامي وتلفزيوني، مقالات في الموسيقى والفنون.
للتقديم، إرسال السيرة ونموذج من الكتابات إلى البريد التالي:
HR@al-akhbar.com

استراحة

كلمات متقاطعة 4096

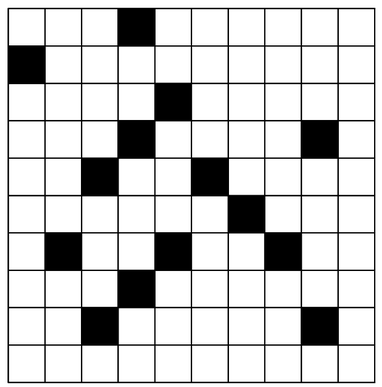

أفقيا
1- بطل المانى في سباق السيارات – من الحيوانات – 2- دولة أوقيانية – 3- عاشق تاريخي – وكالة أنباء عربية – 4- من الأزهار – أداة بالأجنبية – 5- عكسها لغة نشأت في الهند هي اليوم لغة دولة الباكستان – بحر – مصيدة الحيوان – 6- متعبّد – معركة كبرى خلال الحرب العالمية الأولى – 7- شاي بالأجنبية – لمس – حفر البئر – 8- من الأزهار – إبن الحصان – 9- عاتبهم – نوتة موسيقية – 10- الزوج الأول للفنانة الراحلة صباح

عمودياً
1- عاصمة جزيرة برنس ادوارد – 2- أحرف متشابهة – طحين القمح – 3- حرف وخط قديم – زينة المرأة – 4- ملك الهون – رد على سؤال – 5- من الحيوانات – بركان مشتعل في اليابان – 6- جرذ بالأجنبية – مدينة فرنسية – شرب الشّرب الأول – 7- أكل – معبر – مَحَى أطراف العظم – 8- ماركة سيارات – يحمله كل إنسان – 9- مدينة المانية – ضمير منفصل – 10- الخمر القديمة

حلول الشبكة السابقة

أفقيا
1- يوسف الأسير – 2- إبليس – خوفو – 3- سل – فوروم – 4- مهب – سرت – زا – 5- ي ي ي ي ي ي ي – كان – 6- نذلهم – النوّ – 7- زوبا – 8- طلب – نوكيا – 9- وغال – مي – سر – 10- دول – ما – جوز

عمودياً
1- ياسمين – طود – 2- وب – هيدالغو – 3- سلسبيل – بال – 4- فيل – يهزّ – 5- اس – سيمون – 6- قزي – روما – 7- أخوت – أبكي – 8- سور – كلاي – 9- يفوزان – اسو – 10- رومانوف – رز

sudoku 4096

7	6		8					3
			6	1				5
1	5				4			2
				4		3		
9	3	8		2			4	
				6		7		8
8						1		
		6		8			9	7
5	1		3		9			6

شروط اللعبة
هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4095

3	2	9	6	4	8	1	7	5
8	4	1	5	7	9	6	2	3
5	7	6	1	2	3	8	9	4
7	1	4	3	6	2	9	5	8
6	8	2	9	1	5	3	4	7
9	5	3	7	8	4	2	6	1
4	6	8	2	5	1	7	3	9
2	9	5	8	3	7	4	1	6
1	3	7	4	9	6	5	8	2

مشاهير 4096

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

كاتب وإعلامي مصري (1933-2001). عمل في وكالة الأنباء الفرنسية لمدة ربع قرن وقام بتغطية أحداث عالمية عديدة

4+2+8+1 = خلاف الجوع ■ 7+11+5+7+3 = إسم لشهر تموز ■ 10+9 = خبز يابس

حل الشبكة الماضية: **روبرت كينيدي**

إعداد
نعوم مسعود

البلاد

أهل الأرض

يا فدائي... لا تقلق ريثما نصل إليك

مطر عدوان

لا يرحل الشهداء، تظل أصواتهم ندية، وذاكرتنا عنهم نقية من كل ما كان، لا نعرفهم، لكننا ندركهم، وندرك معهم أنفسنا، كيف نعيش، وكيف نموت لنحيا.

إبراهيم النابلسي، ومن معه، ومن قبله، ومن سيليه من الشهداء، سيرة من حكايتنا الطويلة في البلاد القريبة البعيدة، كان هذه السيرة التي بدأت لتنتهي يوماً، تحكمنا بالنجاة دوماً من فعل الموت الحقيقي، فالذين يستشهدون، لا يرفع واحدهم روحه، إلا لنقيم بلاداً لبلادنا، تتعمّر من أجسادهم وضحكاتهم وأصواتهم قبل الصعود.

إبراهيم الذي اختلفت البيانات حول عمره، بعضها قال 19 عاماً، وبعضها 26 عاماً، لم تختلف على قيمة الشهادة والشهيد، ولا دورنا كشهود نعيش بانتظار الحياة «فإما حياة تسر الصديق، وإما ممات يغيظ العدى».

ويتمكن الشهداء، لا أعلم كيف، من غيظ العدو، من فوق الأرض، وهم تحتها، بفعلهم في البداية، وبصورهم، تلك الصور التي لا تتوقف تضحك، ولا يتوقف الشهيد فيها عن البطولة والصراخ بوجه قاتله «نسيت مثلك أن أموت».

الصور التي اعتدنا نحن الفلسطينيون على تعليقها في شوارعنا وأزقة مخيماتنا، تكاد تكون الفسحة الوحيدة للحياة، فهي ليست الورق على الحائط الذي سيتآلف من المطر بعد حين، هي في الواقع، صوت الشهيد الذي ينادي باستمرار «تحيا الحياة»، الصوت الذي يتوارد إلى العيون في ابتسامته الصارخة بوجوه الساكنين والعابرين، والمستكينين للاستلام، بأن لا عودة إلى الضفاف، والحدود المغلقة، ستبقى مغلقة حتى النهاية، تلك الصور، صور الشهداء، تقول لنا جميعاً، إن إسرائيل، ستخرج «من أرضنا... من بحرنا... من قمحنا... من ملحنا... من جرحنا... من كل شيء».

سمعنا جميعاً وصية إبراهيم، صوته لم يكن صوت البطل الرعديد، كان الصوت لطفل يولد من جديد «أنا استشهدت»، لم يكن قد استشهد بعد، كان كأنه يرى، لم يكن في هذه اللحظة يستسلم، كان بوسعه أن يفعلها، وينتهي كل شيء، ويبقى مثلنا على قيد العيش، لكنه أكمل كلامه، ذكر أمه، كأن إبراهيم يولد من جديد، كانت تلك اللحظة، لحظة توهج وإدراك عال للوجود، لوجوده في فلسطين، لإيمانه بالبندقية التي لم تفارقه بيده. أكمل إبراهيم وصيته وقال «ما حدا يترك البارودة».

يا إبراهيم، يا صرختنا، يا بسمتنا، يا حلمنا في الواقع وفي الحلم، لن نترك «البارودة»، أتعلم يا صديقي، ولربما لم تكن تدري، ولربما وأنت في العلياء تعرف، أن ما قلته، صار رمزاً جديداً يضاف إلى قائمة من الكلمات التي تؤكد على الطريق الذي عبرت منه إلى مكان جديد.

يا إبراهيم، لو تدري كم كان الحب كبيراً لك، كم ذكرك الناس، وكم سيذكرونك ويتذكرونك، وكم سيحلمون بك، وكم واحد منا تمنى ويتمنى أن يكون مثلك، ليس لأنك إبراهيم، بل لأنك إبراهيم الفدائي، الذي خرج في التشييع وسط نابلس، غير خائف من «جيش إسرائيل»، ولن أقول متحدياً، فأنت تتحدى نفسك، لا تتحداهم، لأنك لا تراهم، لأنك وأنت من أنت، واجهتهم وقاتلتهم، وحين استشهدت، خرجت أمك كما علمتك، رعديدة بطلة، ولن أقول عنها كما يقال عادة «علمتنا» هي ككل أم تفقد ابنها، تبكي، تحزن، تتألم، لكنها ككل أم شهيد، تفكر بأمهات أخريات سيستشهد أبناؤهن بعد ابنها، وعليهن أن يبقين صامدات، خالدات.

فيا إبراهيم، في تشييعك، أنت لم ترحل، أنت انتقلت من مكان إلى آخر، لتستمر في نضالك أيها الفدائي، أيها

> **كم واحد منا تمنى ويتمنى أن يكون مثلك، ليس لأنك إبراهيم، بل لأنك إبراهيم الفدائي، الذي خرج في التشييع وسط نابلس، غير خائف من «جيش إسرائيل»**

الرجل الذي حملتنا في جنازتك على أكفّك لنفهم ما ناديت به في وصيتك، ورفعتنا لنرى مستقبلنا القريب، فلسطين.

فيا إبراهيم، إن نمت قليلاً، لا تقلق علينا، أعلم أن أخاك محمد حرز الله، جريح في المستشفى حتى اليوم، بعد إصابته في الاشتباك الذي حصل قبل نحو شهر في نابلس القديمة، وأعلم أنك قلق عليه، لكن يا صديقي الجميل، محمد سينهض من جديد، وسينهض من شعبنا ومن الأحرار مثلكما، إبراهيم ومحمد والاف من الفدائيين، فلا تقلق، ونم قليلاً لتستريح، ريثما نصل إليك.

(أ ف ب)

صافرات إنذار عندهم... القرار لدينا

زاهر أبو حمدة

أشعل أحد المراقبين النيران على قمة رامة بعيدة. كانت إشعاراً بأن العدو يتقدم نحو القرية النائية. وعند تلة قريبة صدح صوت: اختبئوا. زحف الجيش، وأمطر المنطقة بالسهام. وعند اقتحامه خرج المختبئون وبدأت الحرب. هذا حصل عند احتلال غزة تاريخياً في أكثر من مناسبة، نظراً لكونها صلة الوصل بين مصر والشام، وكانت السيطرة عليها تعني بداية السيطرة على طرقِ الحربِ والتجارة بين آسيا وأفريقيا.

لطالما كانت المواجهة غير المباشرة بين رجل وآخر أو آخرين، تعني أن الشجاعة ليست مفيدة. بقي العنصر البشري هو الأهم في الاستطلاع والمراقبة والدفاع والهجوم، إلى أن تدخلت الثورة الصناعية، فطورت مفهوم القتال عدة وخططاً. وعلى الرغم من كل التطور الإبداعي في القتل وأدواته، أصبح القطاع المحاصر صعب الاحتلال، في حين يهدد الغزيّون، وبإمكانهم إعلان حالة الطوارئ في كل فلسطين المحتلة، فإن دوّت صفارات الإنذار بدأ الرعب عندهم والفرح عندنا.

ومع مرور الوقت، تحوّل الكشافون من إشعال النيران إلى آلة نفخية لها صوت قوي. إلى أن اخترع الإسكتلندي جون روبسون، في أواخر القرن الثامن عشر، جهازاً يصدر ضوضاء من خلال إصدار صوت عال لاستخدامه كإشارة تحذير. ومن ثم ابتكر المهندس الفرنسي تشارلز كانيارد دي لا تور، آلة صوتية من هذا النوع في عام 1819، عبر تدوير قرص به فتحات متباعدة بشكل متساوٍ حول حافة صفارة الإنذار بسرعة عالية، يتسبب ذلك في حدوث موجة صوتية في الهواء المحيط. هكذا أصبحت للدول صافرات إنذار، للتحذير من عدو قادم أو قصف محتمل أو زلازل وسيول متوقعة. وكانت النقلة النوعية بصفارات الإنذار في الحربين العالميتين، لتقليل الخسائر المادية والبشرية، إلا أنها عند إسرائيل بداية الحرب.

تفيد قناة «كان» العبرية بأن المستوطن شلومو أطياس (60 سنة) من سكان عسقلان، أصيب بنوبة قلبية عندما ركض هارباً نحو غرفة محصنة، بعد سماعه دوي الإنذار خلال جولة «وحدة المساحات»، ولقي مصرعه. وطالب شقيقه يوفال «الدولة» «الاعتراف به كضحية للعملية العسكرية، وقال: «من الكذب القول إنه لم يقتل أحد في العملية العسكرية». هكذا خبر يشير إلى أن صافرات الإنذار لم تكن إيجابية، فهي بثّت الخوف والقلق في نفوس المحتلين.

> **كانت النقلة النوعية بصفارات الإنذار في الحربين العالميتين، لتقليل الخسائر المادية والبشرية**

وربما مع الوقت يغيّر الاحتلال صافرات الإنذار بتطبيقات خاصة بالهواتف مثلاً، ليخفف من «الهلع». تخيّل أن محتلاً يصاب بالهلع، فماذا عن الضحايا في غزة، حيث لا توجد ملاجئ وبدل صفارات الإنذار، يطلق الاحتلال صاروخاً تحذيرياً. بقدر ما هو مؤلم الأمر، فيه تناقض مضحك. فالعدو يحذرك بصاروخ، وفي أكثر الأحيان القصف لا موعد له.

فأي كائن حي في غزة هو مشروع شهيد أو جريح. وأي منزل معرض للتدمير. أما المفارقة الهامة عند المقارنة بيننا وبينهم، أن صواريخهم المدمرة والموجهة لم تمنع إطلاق صواريخ المقاومة غير المتطورة، ولم تستطع القبة الحديدية منعها من العبور في سماء فلسطين والسقوط على أرضها. المسألة ليست فقط تكنولوجيا، لكن في بادئ القصة هي: قرار. حين تقرّر المقاومة قصف الأراضي المحتلة، ليس قراراً سهلاً. تداعيات ذلك لا تقتصر على عدد الشهداء والتدمير، إنما على الاستمرارية في القصف، ما يعني تواصل دوي صافرات الإنذار، أي أن حالة الطوارئ لم ترفع مع خسائرها الاقتصادية والسياسية.

صحيح أن القطاع لا يملك مقومات العمق الاستراتيجي وطبيعته الجغرافية لا تصلح ساحة قتال، إلا أن صاروخاً واحداً كفيل بأن يجعل غزة كلها قادرة على إنهاك دولة بأكملها، وليس أي دولة. فالقرار فلسطينيّ، وهذا أهم إنجاز.

العالم لا يرانا

بريد حنظلة

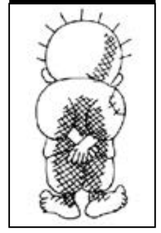

طه يونس

«غارة إسرائيلية أودت بحياة القيادي في سرايا القدس تيسير الجعبري».

يقولها مذيع في نشرة الأخبار، ثم يقفز إلى عالم آخر. يطوي أوراقه، ويترك المُستمعين مع إعلانات كثيرة عن صيف لندن، عروض السفر، وأماكن اللهو.

■■■

أذهب بعد إعلان الحرب هذا إلى الحرب التي أعرفها، هناك في بيروت صيف 2006. أستطيع أن أذكر الضربة الأولى للمطار. استيقظت المدينة على أصوات انفجارات عنيفة. كانت الطائرات الإسرائيلية تُغير على مدرج مطار العاصمة. لم يبق أحد في بيته. صار مخيم برج البراجنة سطحاً واحداً، الجميع ينظر إلى الطيران الحربي في سماء بيروت ويترقب. بدأ الكبار يروون قصصهم عن الاجتياح والحروب الكثيرة التي عاشوها. وكأن الزمان الذي مضى عاد للتو بسرعة صواريخ الألف 16.

ثم كان أن أصبحت الحرب أكثر قساوة، صار ليل الضاحية الجنوبية لبيروت جنوناً خالصاً، قصف يعقبه قصف، اشتد الخوف وتوسعت معه وحدة من بقي في برج البراجنة، نزح كثيرون إلى أماكن بعيدة عن الضاحية، ورفضت عائلات أخرى فكرة الخروج من المخيم.

■■■

يُكمل مذيع الأخبار في محطة أخرى أن غارة إسرائيلية أحالت ليل رفح نهاراً، وتوالت الأنباء عن ارتقاء عدد من الشهداء.

تأخذني الصورة إلى اليوم العاشر لحرب تموز، كان ليلاً طويلاً مر على الضاحية، وكنا عشرة أشخاص ننام في غرفة واحدة، نظن بذلك الأمان. كلما اشتد القصف أيقنت بأن لا نهار بعد هذا الليل، وكتبت في دفتري الصغير الذي ما زلت أحتفظ به «ليلتنا الأخيرة، لن أفرح بنتائج الإعدادية... لأن العالم لا يرانا».

ثم طلع الصباح وكان أن توقّف القصف لساعات، جاء بعدها خبر استشهاد صديقنا إبراهيم. كنا نناديه البوب. كان فتى وسيماً ومرحاً، مزقت جسده النحيل غارة إسرائيلية في ليلة الحرب العاشرة، حملوا جثمانه إلى المخيم، تقدّمنا نحن أصدقاؤه على الكبار في التشييع، هتفنا للشهيد حتى بُحت حناجرنا، كانت أم إبراهيم تنتحب على ابنها في الجنازة، وجهها الذي كان مدوراً جميلاً، صار مثلثاً فجأة، ضاعت ملامحه.

■■■

أشاهد ليل غزة وأذكر ليل بيروت، تُعيدني صور الشهداء إلى الشهداء، أرى الخوف في عيون أطفالها وأذكر خوفنا.

أشياء كثيرة تغيّرت بين الزمنين إلا جرائم إسرائيل. وكان أن أكملت بعد انتهاء حرب تموز الجملة في دفتري الصغير «العالم لا يرانا... إلا بالمقاومة»، هكذا كان وما زال.

لا أريد الاتصال بأحد، ولكن فعلت

باسك القاضي

لم يكن المشهد عليّ غريباً. حتى صور الشوارع التي شاهدتها عبر شاشة التلفاز، ركض الصحافي المراسل والمصور، الأمهات الحاملات لأطفالهن في الشوارع، حالة الصدمة والخوف التي تراها في عيون الناس، وغيرها من المشاهد، كلّها تفاصيل عايشتها سابقاً، وكنت جزءاً منها على مدار أيام طويلة. أذكر أن القدر، بعد قصف مقر المؤسسة التي أعمل بها في غزة خلال عدوان 2021، وضعني وزملائي أمام إحدى ثلاجات الموتى بعدما لجأنا إلى مستشفى الشفاء، باعتباره المكان الآمن لنا ولجميع الصحافيين العاملين في الميدان. كنت أرى نهاية المشاهد المأساوية، صراخاً ونداء على شخص فارق الحياة، بل رجاء له بالعودة إلى الحياة مجدداً من دون جدوى. كل تلك الأحداث ما كانت لتؤثر بي. لا أعلم ما السبب. ربما كانت المعايشة، وقد أصبحت وأمسيت جزءاً من الصورة البانورامية الكاملة، فأنت ترى الضحايا، وبعد وقت، ولسبب ما، ربما ستكون أحدهم.

أذكر أنني وقفت أمام الكاميرا، أعلنت أن شهيدين ارتقيا نتيجة القصف على شمال مدينة رفح جنوب قطاع غزة. الشهيدان كانا من أبناء عمومتي، جمعتني بهما ضحكات في كثير من المواقف، ومع ذلك، لم تصبني حالة كالتي كنت عليها أثناء الحرب على غزة وأنا خارجها. هناك تشعر، ولكنك لا تتحرّك ولا تبدي أي استجابة لما ألمّ بك وسكنك من طارئ، لعل تسارع الأحداث وعدد الشهداء الكبير يصيبك بشيء من عدم المبالاة.

اليوم، الجسد في بيروت، وقبل أقل من عام كان في غزة. بدا الشعور مُتعباً بلا حد، هي الحرب، الحرب وما تحمله من حقائق موجعة، الحرب التي تدفعك رغماً عنك إلى لملمة نفسك أمام المجريات المتواترة تباعاً، كلها لا تحمل إلا الألم.

في الدقائق الأولى للعدوان الأخير على غزة، كنت أجلس في غرفة المذيعين استعداداً للعمل اليومي المعتاد، أتصفّح جهازي الخليوي، حينها دار الحديث عن انفجار وقع في إحدى الشقق السكنية بغزة. المشهد المتوتر أعطاني إشارة إلى أن ما جرى هو استهداف، إلى أن تأكد الخبر بعد لحظات قليلة. بحسب الإعلام، كان استهدافاً نفذته طائرات الاحتلال، بالنسبة لي كان اغتيالاً لشخصية قيادية، فأنا أعلم ماذا يعني تنفيذ ضربة في ذلك الوقت الحساس وبالتحديد لشقة سكنية.

دخلت الاستديو وقلت لمن يتواجد في قسم الكونترول «والله، تم اغتيال أحدهم»، هنا أصبحت بين واقعين، العمل من جهة ومن أخرى الحدث على الأرض، وأسئلة كثيرة دارت في ذهني حينها. لحظات صعبة وقاسية صاحبتها تعابير بدت واضحة على وجهي، وكشفت بداية انطلاق التغطية بالتلعثم وعدم التركيز، حتى اسم المراسل الذي أحفظه جيداً كأنني نسيته أو أنني أعرفه لأول مرة. بعد ساعات انتهت التغطية، انطلقت سريعاً إلى المنزل وهناك تحوّل المشهد تماماً.

رسالة واحدة كانت كفيلة لهروب النوم من عيني نتيجة التعب. رسالة من حبيب لا أستطيع الكذب عليه، وتمرير الرد برسالة أخرى إليه تنهي كل شيء في وقته، رسالة تسألني عن أهلي، هل هم بخير؟ أسمعت قبل ذلك عن الاتفاق الضمني؟ هذا الذي يعقد بين اثنين بنظرات العيون وإيماءات الوجه، هو فعلاً ما كان. في الحرب الماضية ذات الأحد عشر يوماً على غزة عملت صحافياً في الميدان، لم أتصل بأمي على وجه التحديد ولم تتصل بي، هي سلمتني لله، وأنا وفرت عليها الكثير من الدموع وشد الأعصاب، يكفيها أنها كانت ترى وتتابع ابنها في زحمة أحداث قاتلة للروح.

في هذه الحرب، كان الاتصال بالأهل يعني الدخول في حديث لا داعي له، كل منا يعرف أمّه، ويعرف كيف تتحدث، وكيف تخفف من وقع الأحداث، حتى لو على حساب نفسها، حينها وصلت إلى نتيجة واحدة فقط، هي أن استودعتهم الله.

في اليوم الثاني، دخلت في موجة جديدة من التفكير والتوقع، شعرت أن الاتصال مع تصاعد الأحداث بدا أمراً ملحاً. اتصلت، ظهرت شخصاً متماسكاً، أتحدّث بكل هدوء من دون انفعال، لكن داخلي يبدو غير ذلك. تبادلنا أطراف الحديث وكأن الحرب لم تقع، كلانا كان متفهّماً لذلك. خلال الاتصال طلبت من أخي الصغير عدم الخروج من المنزل لخوفي عليه، وكانت نهاية الاتصال «الله معكم».

ما هي إلا ساعة، أو أكثر بقليل، حتى سوت طائرات الاحتلال عدداً من المنازل بالأرض في مكان لا يبعد عن منزلنا سوى اثنين أو ثلاثة كيلومترات. عدد من الشهداء والإصابات. حين وصول الخبر تتمنّى لو أن ما جرى هو كابوس ستستيقظ منه بعد وقت، حينها قلت: لا أريد الاتصال بأحد، ولكن فعلت.

البلاد

وجوه

أشرف القيسي: لا أستحقّ مقابلة صحافية!

يوسف فارس

لم يُعرف أشرف القيسي (42 عاماً) قبل أيّام قليلة، سوى بائه بائع الخبز المشوي بالشوكولاتة، المعروف شعبياً باسم «العوقا»، غير أنه تحوّل من الرجل الذي يقضي نهاره متنقلاً بعربته الصغيرة في شوارع المدينة، إلى الرمز الذي طافت سيرته ألسنة الناس ومنشورات رواد مواقع التواصل الاجتماعي، بعدما سمح بهدم منزله لإنقاذ جيرانه من تحت الأنقاض.

ففي مساء يوم الأحد الماضي، قصفت الطائرات الحربية الإسرائيلية منزلاً مكوّنا من ثلاثة طوابق، يعود لعائلة المدلل، بتوسط منطقة الشعوت، المكتظة بالسكان بمخيم رفح، آنذاك، كان القيسي خارج المنزل برفقة اثنين من أبنائه الستة، تلقى حينها اتصالاً طلب منه العودة في الحال لأن المربع الذي يسكنه تعرّض للقصف. يقول القيسي في حديث إلى «الأخبار»: «أسرعت إلى الحي وكل جسمي يرتجف خوفاً على عائلتي، وصلت إلى الحيّ الذي تغيّرت معالمه، وبدأت بالبحث عن زوجتي وأطفالي، أخبرني أحد جيراني أنهم بخير، لكن أحد الأطفال أصيب بجروح، وهم في منزل الجيران».

يواصل الرجل الذي يعيل أسرة مكونة من ثمانية أشخاص: «المنازل في حيّنا صغيرة ومتلاصقة ومكتظة بالآلاف من السكان... اطمأننت على عائلتي، وخرجت لمساعدة الأهالي في البحث عن المصابين وإنقاذ الأحياء من تحت الركام، لكن كانت عمليات البحث تتم ببطء شديد، ورأينا أن طريقة البحث اليدوية ستستغرق ساعات ولن نستطيع إنقاذ أي من المصابين إن كان على قيد الحياة».

أمّا زوجته أم محمد، فتداري دموعها وهي تقول: «سمعت صوت ستة صواريخ متتابعة، احتضنت أولادي وغطيتهم بالفراش والملابس حتى لا يصابوا بمكروه... جاء الشباب حاولوا إنقاذ جيراني وجاراتي، كثير أحباء على قلبي، طلبوا أن يهدموا البيت حتى يتمكنوا من إدخال الآليات إلى بيت جيراننا المكون من أكثر من ثلاث طبقات، بدون أي تفكير قال لهم زوجي، اهدموا البيت وانقذوا جيراننا وأحباءنا».

يشير أبو محمد إلى أن بيته، الذي لا تتجاوز مساحته الـ 65 متراً، هو المدخل الوحيد الذي من الممكن أن يسمح لآليات الإنقاذ بالوصول إلى منزل عائلة المدلل المستهدف. يقول بأسلوبه البسيط: «قلت لهم اهدموا البيت، ما بدي أطلع شي من الأغراض والأثاث، وأنقذوا المصابين من تحت الأنقاض بسرعة». يتابع حديثه: «وقف الجيران خلال أكثر من ثلاث ساعات، استغرقها هدم منزلي، بمشاعر غير مفهومة، هم حزنوا عليّ لأن منزلي يهدم أمام عينيّ، وأنا بالكاد أستطيع تأمين لقمة عيشي، لكني كنت أشعر بأني قمت بأقل الواجب، الذي لا يستحق حتى أن تجروا معي مقابلة بسببه».

كانت الطائرات الإسرائيلية قد قصفت منزلاً يعود لعائلة المدلل، كان يقيم فيه الشهيد القيادي في «سرايا القدس» خالد منصور، برفقة اثنين آخرين من معاونيه، وتسبّبت المجزرة بارتقاء تسعة شهداء، بينهم طفل وثلاث نساء، فضلاً عن إصابة أكثر من ثلاثين مواطناً بجروح متفاوتة.

> «بالكاد أستطيع تأمين لقمة عيشي، لكنّي كنت أشعر بأنّي قمت بأقل الواجب»

تقول أم محمد، التي قضت ما تبقّى من ساعات الحرب في منزل جيرانها، بعدما نقلت طفلها المصاب إلى المستشفى: «ما قيمة الحجارة أمام الدم والأرواح، هؤلاء جيراننا من أكثر من 16 عاماً، الطفل الشهيد محمد حسونة، هو ابن جارتي وتربّى في منزلي مع أطفالي، نحن نعيش اليوم حزناً لا يقارن بفقدان بيت أو أي من متاع الدنيا»، فيما يردف زوجها: «مصيري وعائلتي اليوم لا يختلف عن مصير المئات الذين هدمت منازلهم، المال الله يبعوض فيه، المهم أننا فعلنا ما يرضي ضميرنا ووطنيتنا».

(أ ف ب)

وجهة نظر

«وحدة الساحات» في الميزان

موسى جرادات

لم تكن الحرب الأخيرة على غزة، التي جرت الأسبوع الماضي، أوّل الحروب التي تخاض ضدها، لكنها الحرب التي أراد منها الاحتلال تحقيق ما عجز عن تحقيقه طوال سبعة عشر عاماً، وهو تاريخ خروجه من غزة في العام 2005. في هذه الحرب بالتحديد، أراد العدو أن يراكم خبراته السياسية والعسكرية والأمنية، وأن يستلهم الدروس والعبر من كل جولات الصراع المفتوح مع المقاومة الفلسطينية في غزة.

أسئلة كثيرة طرحت وما زالت تطرح حول توقيت الحرب، والأهداف التي أراد الاحتلال تحقيقها من هذه الجولة، وكذلك النتائج التي تحققت للطرفين من هذه الجولة التي استمرت ثلاثة أيام.

نعم، الحرب بدأت بعملية اغتيال جبانة، نفذتها طائرات الاحتلال ضد قائد «سرايا القدس» في شمال قطاع غزة الشهيد تيسير الجعبري، فاستهدفته أثناء تواجده في أحد أبنية مدينة غزة، وكان الاغتيال الشرارة التي أشعلت الحرب، لكن الأمر بدأ قبل ثلاثة أيام من تلك الحادثة، بعد قيام «سرايا القدس»، الجناح المسلّح لحركة «الجهاد الإسلامي»، بإعلان النفير العام على حدود القطاع، استعداداً للرد على الاعتقال الهمجي والوحشي للشيخ بسام السعدي القيادي البارز لـ«الجهاد» في الضفة الغربية.

لم يكن رد الحركة سريعاً على اغتيال الجعبري، ولإزالة اللبس الذي طال الساعات الأولى التي سبقت رد الحركة، أوضح مصدر قيادي مسؤول في الجهاد لـ«الأخبار» بأن «حركته أطلعت الجميع على قراراتها، بالذهاب نحو المواجهة، ومن ضمنهم حركة حماس، وأكد أن حركته لم تتلق أي رد سلبي من قبل المعنيّين في حماس».

بين «وحدة الساحات» و«الفجر الصادق»

أطلقت «الجهاد» على تلك المواجهة العسكرية تسمية «وحدة الساحات»، وأخذت على عاتقها إنجاز تلك المهمة، والمقصود بالتسمية الربط المباشر بين غزة والضفة في كل المجالات، بخاصة أن الاحتلال يسعى على الدوام إلى فصل غزة عن كل ما يجري في الضفة الغربية، للاستفراد بالمقاومة الفلسطينية فيها، وهي الآخذة بالتشكل مجدداً، والنمو في مناطقها كافة. المصدر يؤكد أن «الحركة الموجودة في الساحتين، والتي تمثّلها قيادة سياسية وعسكرية واحدة، لا يمكن لها أن تبقى صامتة عن كل ما يجري من أحداث في الضفة الغربية، من دون تفعيل كل الساحات، للإسناد الفعلي والحقيقي والملموس، لذلك وافقت الحركة على وقف إطلاق النار، بعد التعهّد المصري بالعمل على إطلاق سراح الشيخ بسام السعدي والأسير المضرب عن الطعام العواودة». وهذا تم إبلاغه للحركة بشكل مباشر عن طريق الوسيط المصري.

الاحتلال، من جانبه، أطلق على عملية الغدر في غزة تسمية «الفجر الصادق»، وأراد منها بصورة محددة الاستفراد بـ«الجهاد الإسلامي»، وإلحاق الأذى الكبير في جسم التنظيم، لتحقيق هدفين أساسيين: أولاهما فصل الساحات والاستفراد بالمقاومة الفلسطينية في الضفة، حيث تلعب حركة «الجهاد» عبر «سرايا القدس» دوراً مركزياً فيها، وثانيهما إحداث الشرخ بين حركتي «حماس» و«الجهاد» في قطاع غزة.

كانت محاولة إحداث هذا الشرخ، عبر إعلان الاحتلال المبكر استبعاد «حماس» من الاستهداف في هذه المعركة، لكن مجريات الحرب لم تستطع تحقيق أي من الهدفين. وممّا يؤكد ذلك، التصريحات التي أدلى بها الأمين العام للجهاد الإسلامي زياد نخالة، في مؤتمره الصحافي الذي عقده في طهران للإعلان عن موافقة حركته على وقف إطلاق النار. فقد فنّد تلك المقولات التي تحدّثت عن شقاق بين الفصيلين: «أؤكد على وحدة قوى المقاومة ونحن والإخوة في حماس في تحالف مستمر معهم ومع مختلف الفصائل والعدو لن يستطيع أن يفرق بيننا، وحماس لم تتدخل في المعركة لكنها العمود الفقري لحاضنة المقاومة وسنحافظ على وحدتنا».

انعطافة نوعية للمقاومة في غزة

لعبت عدة عوامل سياسية إقليمية دوراً مركزياً في الضغط على حركة «حماس»، لمنعها من الانخراط في المواجهة العسكرية الأخيرة، والمقاربة التي قدّمتها دول الإقليم لـ«حماس» في هذه المسألة تتعلّق بتصوّرات ورؤى للحلول النهائية في غزة.

بالتالي، لا يمكن تفسير هذا الصمت المطبق من قبل «حماس» من دون التوقّف عند تلك التصورات السياسية التي قدّمتها دول الإقليم لـ«حماس»، وإن كانت حتى هذه اللحظة تمضي وتفعل فعلها من دون إعلان فعلي ورسمي عن وجود تلك التفاهمات، التي يبدو أن «حماس» أخذتها على محمل الجد وتخضعها للدراسة.

لم يقدّم المقرّبون من «حماس» تفسيرات تتعلّق بعدم المشاركة في «وحدة الساحات»، واقتصر قولهم بأن الوضع الداخلي لا يسمح، وغير مهيأ للحرب. لا تبدو التفسيرات مقنعة على الإطلاق، بخاصة أن «حماس» خاضت، عبر جناحها العسكري «كتائب القسام»، أربع حروب سابقة بكل اقتدار، وقدّمت الغالي والنفيس، من دون النظر لمقولة موازين القوى المختلة لصالح الاحتلال، وقد أثبتت «القسام» قدرات هائلة وهي تتقدّم بثبات في تلك الحروب، وكانت آخرها «سيف القدس» التي وضعت حداً نهائياً لجيش الاحتلال بأن يفكر باجتياح بري لقطاع غزة.

غزة بين هانوي وسنغافورة

لعبت غزة منذ احتلالها في العام 1967 دوراً محورياً في مشاغلة الاحتلال، عبر مقاومتها المسلحة، المستمرة من دون توقف، حتى تم دحر الاحتلال عن القطاع في العام 2005، وحتى هذا التاريخ كانت «حماس» لا تزال في مربع المقاومة المسلحة، بلا انخراط في مؤسسات السلطة الفلسطينية السياسية المنبثقة من اتفاق أوسلو. لكن بعد وفاة الرئيس الراحل ياسر عرفات في العام نفسه، حضّرت حماس نفسها بشكل جيد لخوض الانتخابات، ففي العام 2006 تمكّنت من الفوز بثلثي أعضاء المجلس التشريعي، الأمر الذي مكّنها من تشكيل الحكومة الفلسطينية التي لم تدم طويلاً، بعد أن تبدّدت الآمال في إيجاد نوع من الوحدة الوطنية الفلسطينية بين قطبيها («حماس» و«فتح») ليحصل الانقسام المقيت في العام 2007 ويخضع القطاع لحكم «حماس»، ويطبق الحصار عليه المستمر حتى الآن.

> لعبت غزة منذ احتلالها في العام 1967 دوراً محورياً في مشاغلة الاحتلال

فشلت كل المحاولات التي قامت بها الفصائل الفلسطينية لإنهاء حالة الانقسام، والذهاب نحو انتخابات رئاسية وتشريعية، تفضي في النهاية لإنهاء الانقسام الفلسطيني، الذي أثر سلبياً في واقع الشعب والقضية الفلسطينية. الفاعلون الدوليون والإقليميون، ودولة الاحتلال، يمتلكون تأثيراً فعالاً لإبقاء حالة الانقسام، وفرض شروط سياسية على الفلسطينيين، مقابل تصورات اقتصادية لحل القضية الفلسطينية من دون المرور بالاستحقاقات السياسية.

العملية العسكرية الأخيرة في قطاع غزة، جاءت لتهيئة الأجواء، لوضع ملامح الحل المطروح على الطاولة، عبر استبعاد وإضعاف حركة «الجهاد الإسلامي» عن المشهد، ولا سيما أن الحركة لا تزال حتى هذه اللحظة تقدّم نفسها كحركة مقاومة، ولا تستهدف أي مغانم سياسية أو مصلحية، ومشروعها النهائي يتلخّص بدحر الاحتلال عن كامل فلسطين الانتدابية.

أمّا حركة «حماس»، فهي بالأصل حركة سياسية تمتلك جناحاً مسلحاً، تمثّل سياسياً ضمن النظام السياسي الفلسطيني، الذي يمتلك شرعية دولية معترفاً بها، وتطالب أيضاً بالانتخابات، وتقرّ علناً قبولها بأي وزن سياسي تفرزه نتائج الانتخابات المطالب بعقدها. هذا التموضع لـ«حماس» يفرض عليها إدارة الصراع بشقّيه السياسي والعسكري.

لهذا، فإن هذه المقاربة، تؤشر إلى أن معادلة هانوي في غزة لم تعد قادرة على الاستمرار، نظراً لما خلفته عوامل الحصار المفروض على القطاع من آثار جسيمة في البنية الاجتماعية والاقتصادية على أهالي القطاع بالمجمل، الأمر الذي أدّى بحماس، لقراءة هذا الواقع الصعب، والتعامل مع الخيارات المطروحة على الطاولة، من دون أن نغامر بالقول إن «حماس» قد وافقت على أطروحة سنغافورة التي يروّج لها النظام المصري منذ مدة. فقادم الأيام هو الذي سيقدّم البرهان على وجهتي التحليل، بين غزة هانوي أو غزة سنغافورة.

وإن كان لحركة «الجهاد» رأي آخر في ذلك، فهي الأخرى مطالبة ببناء تصوّرها الخاص، الذي يراعي متطلبات المواجهة العسكرية مع الاحتلال، ويراعي أيضاً الظروف الموضوعية لأهل غزة الذين يعانون شظف العيش، ويشعرون بمرارة الخذلان، وبأنهم وحدهم في هذا الحصار.

يبدو أن «الجهاد» قادرة على التموضع العسكري في الضفة، على عكس «حماس» التي لم يلحظ لها وجود عسكري ملموس. وربما «الجهاد» قادرة على تطبيق «وحدة الساحات» طالما أن بزوغ الفجر الفلسطيني يتلمّس خطاه في ساحات الضفة، مدنها وقراها ومخيماتها.

> لعبت غزة منذ احتلالها في العام 1967 دوراً محورياً في مشاغلة الاحتلال

الأخبار
al-akhbar
السبت 13 آب 2022 العدد 4700

صورة وخبر

الدفّ آلة إيقاعية قديمة، مكوّنة من إطار يُسمّى «الطارة»، يُشدّ على أحد وجهيه جلد حيوان رقيق ويحاط بإطار خشبي دائري، فيما تعلّق على إطاره صنوج مستديرة من النحاس. تأتي الدفوف الصغيرة بأشكال عدّة، إلّا أنّ أغلبها دائري. وجدت هذه الآلة طريقها إلى أنماط موسيقية شعبية عدّة، من التركية إلى اليونانية والإيطالية وليس انتهاءً بالفارسية. في العراق، يرتبط الدفّ بالمتصوّفة الذين ينظّمون مجالس دينية ويستخدمونه في الذكر والموالد النبوية وفي زياراتهم لأضرحة مشايخهم، ابرزهم عبد القادر الكيلاني وأحمد الرفاعي. منذ عام 1993، يعمل «عبد الرحمن» في مشغله في كركوك في صناعة هذه الآلة بكميات كبيرة، تلبيةً لطلبات زبائنه المنتشرين في مختلف أنحاء البلاد، خصوصاً في بغداد وسامراء والسليمانية وغيرها. (شوان نوزاد ــ أ ف ب)

رحيل

وداعاً كابتن عدنان...

واصف عواضة *

فقدت الأسرة الصحافية والإعلامية زميلاً عزيزاً آخر، هو الصحافي القدير عدنان الحاج.
كان عدنان أيقونة الصحافة الاقتصادية، منذ عرفته صحيفة «السفير» زمن ولادتها، وفي ريعان شبابه.
لكن عدنان كان فاكهة المجالس... كل المجالس، فيضفي على مجالسيه لحظات ممتعة من خلال الطرفة الجاهزة التي تترك أثراً عميقاً في الذاكرة.
غاب عدنان يوم غابت «السفير»، فاكتشفنا كم كانت هذه الصحيفة بالنسبة لكل الذين عملنا فيها، واحةً في بيداء حياتنا.
كابتن عدنان... سنذكرك دائماً كلما أخذنا الحنين إلى جلسات السمر، وكنت باعثاً فيها حرارة اللطف واللطافة.
في غيابك يا زميلي وصديقي، سوف تغلى مواسم الضحك، في زمن صارت فيه الابتسامة تعبيراً عن القهر اللاحق بنا.
رحمك الله، وأسكنك فسيح جنانه، وخالص العزاء لعائلتك الصغرى، وعائلتك الكبرى، وألف سلام لروحك يا صديق العمر.

*** إعلامي لبناني**

* نعت «نقابة محرري الصحافة اللبنانية» في بيان عدنان الحاج «الذي احتل موقعاً مميزاً في عالم الصحافة الاقتصادية: محللاً، كاتباً، طاغي الحضور، سريع البديهة، لماحاً، ثاقب النظر، مجتهداً، محبباً، يجمع صلابة الموقف إلى روح النكتة يرسلها بعفوية. وهو كان عاشقاً للرياضة، ولا سيما كرة القدم، لاعباً في نادي «الأنصار» ومنتخب لبنان. أدركه المرض في السنوات الأخيرة، وخارت قواه مستسلماً لمشيئة من لا رد لمشيئته». وتابع البيان: «يمضي عدنان الحاج لملاقاة وجه ربه راضياً مرضياً، بعد جهاد طويل في مهنة المتاعب، صحافياً اقتصادياً في جريدة «السفير»، وبلغ في هذا المجال شأناً كبيراً، بما اكتسب من خبرات، وما انطوى من حس تحليلي صائب جعله مرجعاً، وكان ضيف الشاشات بما يعرض من معلومات ويقدم من قراءة موضوعية مركوزة إلى موضوعية ومنطق. وهذا ما عزز صدقيته، وجعله مصدراً موثوقاً». علماً أنّه سيصلّى على جثمان الراحل ظهر اليوم السبت في «جامع الخاشقجي»، قبل أن يوارى الثرى في «جبّانة الشهداء». على أن تقبل التعازي غداً الأحد (من الساعة الثالثة بعد الظهر حتى السابعة مساءً) في «نادي متخرّجي الجامعة الأميركية» (الوردية . الحمراء). لتقديم التعازي عبر الهاتف: 01/655734

المفكرة

تانغو في «أونوماتوبيا»

■ بعد غدٍ الإثنين، تضرب فرقة «مايكل والأصدقاء» موعداً جديداً مع عشّاق التانغو في «أونوماتوبيا ـ الملتقى الموسيقي». تتألف الفرقة من ثلاثة أعضاء، هم: العازف والمؤلف الموسيقي اللبناني ـ الأرمني مايكل أشجيان (الصورة) الذي سيتولى الإعداد الموسيقي والعزف على البيانو، نديم روحانا (أكورديون) وسوزانا بلسانيان (كمان). خلال السهرة، ستقدّم الفرقة مجموعة من أشهر مقطوعات التانغو الأرجنتيني إضافة إلى أخرى خاصة. سبق لقائد الفرقة إحياء أمسيات حيّة في لبنان وخارجه بالإضافة إلى التأليف الموسيقي واستعادة الكلاسيكيات بتوزيعات خاصة، وصولاً إلى إصدار أسطوانة «تانغومانيا» عام 2011. يعود ريع هذه السهرة لدعم برنامج «أونوماتوبيا» لتطوير المهارات الموسيقية.

حفلة تانغو مع «مايكل والأصدقاء»: بعد غدٍ الإثنين ـ س: 20:30 ـ «أونوماتوبيا ـ الملتقى الموسيقي» (الأشرفية ـ بيروت). للاستعلام: 01/986398

عمر نعيم... بين «مدينتين»

■ تعرض قناة «bbc عربي»، يوم الثلاثاء المقبل فيلم «مدينتان» (2016) للبناني عمر نعيم (الصورة). يمزج الأخير في هذا العمل بين التوثيق والدراما والواقعية السردية. استخدم نعيم عدسته لرصد وتوثيق أحوال العاصمة اللبنانية المتردية أثناء الاحتفالية البيروتية في مناسبة مرور عشرين سنة على تأسيس «مسرح المدينة». واستوحى من الواقع الراهن الذي عاينه بأمّ العين وعبر الكاميرا، مضمون شريط لا تتعدّى مدّته الساعة الواحدة، مليء بالأحداث والعواطف. يسلّط نجل نضال الأشقر وفؤاد نعيم الضوء

على العلاقة الجميلة والمؤثرة بين والدَيْه اللذين كرّسا أيامهما للمسرح والأضواء، ومع ذلك عاشا حياة شخصية حميمية لا أحد يعرف حيثياتها. «مدينتان» أشبه بشهادة حيّة عن المسرح والمدينة، تستذكر فيه «زنوبيا» المسارح التي أقفلت في مدينة بيروت، منها «بابل»، «إسترال»، «البيكاديلي» و«بيروت». كما تشدّد على الكفاح المستمر لبقاء الخشبة على قيد الحياة. يقارن الشريط كذلك بين «مسرح المدينة» حيث كل شيء مرتب ومنظم، وبيروت حيث تعمُّ الفوضى وتنتشر النفايات وينقطع التيار الكهربائي. ويوجّه تحيّة إلى الفنانين الذين، رغم كل الصعوبات المادية والمعنوية، يحاولون دائماً تحدّي الواقع ليمنحوا الناس الأمل بغدٍ أفضل.

عرض فيلم «مدينتان»: الثلاثاء 16 آب (أغسطس) الحالي ـ س: 22:00 بتوقيت بيروت على «bbc عربي».

«بيروت هولدم»... حان وقت العرض

■ سيتمكّن الجمهور، غداً الأحد من مشاهدة فيلم «بيروت هولدم» (2022) في «غراند سينما» في الأشرفية، على أن يلي العرض لقاء مع المخرج ميشال كمّون. الشريط هو من بطولة الفلسطيني صالح بكري (الصورة)، ويجمع باقة من الممثلين اللبنانيين أمثال سعيد سرحان، فادي أبي سمرا، طلال الجردي، روجيه عساف، ريتا حايك وزياد صعيبي. يروي الفيلم قصة «زيكو» الذي يخرج من السجن بعد سنوات طويلة ويعود إلى عائلته وأصدقائه، مثقلاً بمشاعر الذنب حيال شقيقه

الصغير الذي قضى في غيابه، وحيال والدين عجوزين مكسورين، يلومانه على ما آلت إليه أحوال العائلة. يستأنف «زيكو» علاقته بأصدقائه «جورج» و«ربيع» و«فادي» الذين يعيشون في أحد الأحياء البيروتية الفقيرة. ويسعى أيضاً إلى استعادة علاقته بخطيبته «كارول»، أستاذة الموسيقى التي ملّت انتظاره وتستعدّ للسفر إلى الدوحة. يحاول «زيكو» إيجاد عمل «شريف»، لكن مرض أبيه ودخوله المستشفى يضطرانه للعودة إلى أسلوب حياته القديم للحصول على المال اللازم لمعالجة الوالد. هكذا، يفتح محل مراهنات، متخذاً من المقامرة وسيلة للعيش وسبيلاً للنجاة في ظل انعدام الخيارات وظلم الواقع.

عرض فيلم «بيروت هولدم»: غداً الأحد ـ س: 20:00 ـ «غراند سينما» (مجمّع ABC التجاري ـ الأشرفية/ بيروت). للاستعلام: 01/209109

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnewspaper

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الأوائل
15ـ666314 /01 ـ 828381 / 03
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 13 آب 2022
العدد 4700 السنة السادسة عشرة
Samedi 13 Août 2022 nº 4700 16ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

ت. س. إليوت
سأريك الخوف في كمشة غبار

رشيد وحتي

منذ تموز (يوليو) 2022، تحتفي الصحافة الثقافية والأدبية، بالمئوية الأولى لصدور مطوَّلة ت.س. إليوت (1888 ـ 1965) «الأرض اليباب» في تموز (يوليو) 1922. قصيدة من 433 بيتاً، نَزَعَ فيها إليوت إلى استلهام خلطة من مخزونه الثقافي والمعرفي والنفسي: الميتافيزيقيون الإنكليز، التَّصويريون الأميركان، الرمزيون الفرنسيون، إضافة إلى المخلّفات النفسية للحرب العالمية الأولى مِنْ جزعٍ وتشاؤم. القصيدة مترعةٌ بالتناصّ والإشارات، تضميناً وتلميحاً، بحيث نشرها إليوت في ما بعد، مع هوامش وشروحات وافية فَكَّت الكثير من مفاتيح النص، إضافةً إلى الدراسات التفسيرية والنقدية التي تناولتها على مدى العقود.

بمن جملة ما أضافه إليوت إلى المشهد الشعري، بهذه المطولة، تَفَرّد أسلوبيّ تمثل في الاستناد إلى سارد يتغيّر بين مقطع وآخر، ما كان يحتّم تغيير الزَّمكان أيضاً. أمر دفع نقاداً عديدين إلى اعتبار «الأرض اليباب» ملحمةً حديثةً، بل ملحمةَ الأنغلوساكسون الحديثة، التي دفعت سان- جون برس إلى كتابة ملحمة الفرنسيين الحديثة: Anabase (1924).

صارت مطولةُ إليوت من كلاسيكيات الناطقين بالإنكليزية، وبعضُ عباراتها مثلاً سائراً: «آذَارُ أَقْسَى الشّهور» وهي في الأصل اقتباس من «حكايات كانتربري» لجيفري تشوسر، أو «سَـأُرِيكَ الخوف في كمشة غبار»... أو «شَانْتِيهْ شَانْتِيهْ شَانْتِيهْ» وهي كلمة سنسكريتية تعني: «سَلَامٌ» وبها يختم إليوت القصيدة تكراراً، كأنه يبحث، مع معاصريه، عن سلام يتجاوز كلَّ إدراك.

منذ البداية، لاقت القصيدة استحسان أهم معاصري إليوت من كُتَّاب، وشعراء خصوصاً، من بينهم: باوند، أودن، همنغواي، وليم كارلوس وليمز، جويس (رأى نقّاد كثيرون أنّ إليوت سار في الشعر على خطى ما فعله صاحب «عوليس» في النثر؛ بل إنّ هناك من يعزو الهيكل السردي للقصيدة إلى تأثيرات حكواتي دبلن الأول). ومن بين الترجمات العربية، فضلنا الاستناد إلى العنوان الأحدث من بينها، الذي ترجمه عبد الواحد لؤلؤة. علماً أنّ المطولة نفسها ترجمها في الماضي كلّ من لويس عوض، ويوسف الخال بالاشتراك مع أدونيس، وتوفيق صايغ، من بين آخرين.

ملف

أكل لحوم البشر أو الكانيبالية هو إحدى الثيمات الأثيرة في آداب الشعوب والأساطير وكتب التراث. يمكن للمتقصي عن هذه الممارسات أن يعثر على نوع أول هو «الكانيبالية الغذائية» الذي ترتبط أصوله بالحصارات أثناء الحروب والكوارث الطبيعية والمجاعات حين يندر الغذاء أم يكاد ينعدم، أو من رغبة إرادية بالتنويع في النظام الغذائي. وطبيعة المنطقة والأرض والمناخ وما يمكن تسميته بـ «النموذج التداولي» وهو ثقل العادة والعرف في مجتمعات لم يعرف الإنسان فيها طعاماً إلا لحم نظيره. يمكن أيضاً العثور في آداب الشعوب على نوع من الكانيبالية الحربية تتضخم فيه سمات الثأر. ويختلط أكل اللحم بالطقس القدسي والسحر. ويتحوّل ضرب الأدوات الحجرية والمعدنية والسيوف والرماح في اللحم البشري في ما بعد إلى شبق: شبق قد يصل إلى حد المرض باللحم البشري المرغوب على كلّ المستويات. يمكن العثور على نوع ثالث هو الكانيبالية الدينية التي انبثقت من مبدأ التضحية وضرورة استرضاء الآلهة بالقرابين. هذه التضحية ما برحت تتعاظم بدءاً من القرابين الحيوانية وصولاً إلى البشرية. فالبشر على غرار الهتهم في الميثولوجيا والأساطير لم يأكلوا الحم الاضحية فحسب. إنما الروح التي تسكن هذا القربان حيث يمثل الدم المادة المختلطة بهذه الروح، أو حرص بعض أتباع الديانات على تناول رمزي أو حقيقي لأجزاء من أجساد رموزها وأوليائها. النوع الأخير المتسلل إلى الأدب هو ما يمكن تسميته بالكانيبالية الثقافية. إذ تم توظيفه هو الآخر كنوع من البروباغندا الثقافية وخصوصاً الاوروبية الكولونيالية والاستشراقية في تعريف «الآخر» المستعمَر والمختلف والمسلوب الأرض والحقوق والسردية الحضارية والثقافية بما فيها سردية منظومة المآكل والمشارب. إلا أنّ هذا التصوير الكانيبالي الهمجي لم يقتصر على المستعمَرين. وإنما توسع في أدب «الرجل الأبيض» ليشمل الطبقات العاملة والنساء. والمثليين. ومختلفي الديانة. ويمكننا الإشارة هنا إلى قضية «فطير صهيون» التي لاقت رواجاً في أوروبا الشرقية حول صناعة فطير في الأعياد اليهودية يشرّب بدم الأطفال «الغوييم». ما يوحي بعقدة العرق المتفوق في كل أنظمته ووسائل عيشه مقارنة بـ «الأعراق المنحطة» التي ما عرض الرجل الأبيض عاداتها الغذائية في الشعر والرواية والقصة إلا من أجل «تمدينها» و«هدايتها». في هذا الملف. استعراض لهذه الأنواع في التراث والأدب باستشهادات من الشرق والغرب

ثيمة أثيرة في آداب الشعوب والأساطير وكتب التراث

الكانيبالية.... من أداة للثأر إلى بروباغندا «الرجل الأبيض»

محمد ناصر الدين

في اقتفاء أثر الأدب الكانيبالي، يمكننا أن نبدأ من العهد القديم. إذ نعثر في سفر الملوك الثاني على إشارة صريحة إلى كانيبالية الجوع: «وبَعدَ ذلِكَ حشَدَ بَنهَدَدُ مَلِكُ أرامَ جيشَهُ وصَعِدَ إلى السَّامِرةِ وحاصَرَها. فأدّى الحِصارُ إلى مجاعةٍ شديدةٍ، حتى صارَ رأسُ الحمارِ بثمانينَ مِنَ الفِضّةِ، ورُبعُ فَرْخِ الحمامِ ألأبيضِ بخمسةٍ مِنَ الفِضّةِ. وبينَما كانَ مَلِكُ إسرائيلَ عابراً على السُّورِ، إذا بامرأةٍ صرَخَت إليهِ تقولُ: «أغِثْني يا سيِّدي المَلِكُ». فقالَ لها: «لم يُغِثْكِ الرَّبُّ، فمِنْ أينَ أغيثُكِ أنا؟ أمِنَ البيدَرِ أم مِنَ المَعصرةِ؟» ثُمَّ سألَها: «ما بالكِ؟» فأجابَت: «قالَت لي هذِهِ المرأةُ: هاتي ابنَكِ فنأكُلَهُ، وغداً نأكُلُ ابني. فطبَخْنا ابني وأكَلْناهُ، وقُلتُ لها في اليومِ الثّاني: هاتي ابنَكِ لِنأكُلَهُ فأخفَتْهُ». فلمّا سَمِعَ المَلِكُ كلامَ المرأةِ مزَّقَ ثيابَهُ وهوَ عابرٌ على السُّورِ، فنظرَ الشَّعبُ إليهِ فإذا على جسَدِهِ مِسْحٌ مِنْ تَحتِ ثيابِهِ. وقالَ المَلِكُ: «الويلُ لي مِنَ اللهِ إنْ بَقِيَ رأسُ أليشَعَ بنِ يوشافاطَ عليهِ اليومَ»». والكانيبالية الدينية يمكننا العثور عليها بصورة رمزية في إنجيل يوحنا: «قال لهم يسوع: الحقَّ الحقَّ أقول لكم، إنْ لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فليس لكم حياة فيكم. من يأكل جسدي ويشرب دمي فلهُ حياة أبدية وأنا أقيمُهُ في اليوم الأخير». وكذلك نعثر على روايتين صريحتين في التراث الإسلامي، فالبخاري في «التاريخ الكبير» يورد هذا الحديث عن الصحابي سفينة، مولى النبي محمد: «احتجم النبي (ص) ثم قال لي: خذ هذا الدم فادفنه من الدواب والطير. قال: فتغيبت به فشربته. قال: ثم سألني، فأخبرته أني شربته. فضحك». أما البيهقي في «السنن الكبرى»، فيورد رواية أخرى عن عبدالله بن الزبير: «احتجم رسول الله (ص) وأعطاني دمه، وقال: اذهب فواره لا يبحث عنه سبع أو كلب أو إنسان. قال: فتنحيت عنه فشربته، ثم أتيت النبي (ص)، فقال: ما صنعت؟ قلت: صنعت الذي أمرتني. قال: ما أراك إلا قد شربته. قلت: نعم. قال: ماذا تلقى أمتي منك؟».

نعثر على نوع من الكانيبالية الحربية الثأرية في التراث العربي والإسلامي متمثلة في قصة هند بنت عتبة، إذ نقرأ في «سيرة ابن هشام»: «قال ابن إسحاق: ووقعت هند بنت عتبة، كما حدثني صالح بن كيسان، والنسوة اللاتي معها، يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله (ص) يجدعن الآذان والأنف، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خدماً وقلائد، وأعطت خدمها وقلائدها وقرطتها وحشيا غلام جبير بن مطعم، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها، فلم تستطع أن تسيغها، فلفظتها، ثم علت على صخرة مشرفة، فصرخت بأعلى صوتها، فقالت: شفيت نفسي وقضيت نذري/ شفيت وحشي غليل صدري».

يطالعنا كتاب «الحيوان» للجاحظ بإشارة فذة إلى الكانيبالية الثقافية: «تُهجى أسد بأكل الكلاب، وبأكل لحوم الناس. والعرب إذا وجدت رجلاً من القبيلة قد أتى قبيحاً، ألزمت ذلك القبيلة كلها. كما تمدح القبيلة بفعل جميل، وإن لم يكن ذلك إلا بواحد منها. وتهجى أسد وهذيل والعنبر وباهلة بأكل لحوم الناس»، إلا أن الجاحظ يوضح أن هذا الاتهام هو من باب طعن الشعوبية على العرب: «وهذا الباب يكثر ويطول. وفيما ذكرنا دليل على ما قصدنا إليه من تصنيف الحالات. فإن أردته مجموعاً فاطلبه في كتاب الشعوبية، فإنه هناك مستقصى».

ونلتقي في حكاية السندباد الرابعة في «ألف ليلة وليلة» بنوع من الكانيبالية الثقافية الفانتازية: «فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح قمنا ومشينا في الجزيرة يميناً وشمالاً، فلاح لنا عمارة على بعد فسرنا في تلك الجزيرة قاصدين تلك العمارة التي رأيناها من بعد ولم نزل سائرين إلى أن وقفنا على بابها. فبينما نحن واقفون هناك، إذ خرج علينا من ذلك الباب جماعة عراة ولم يكلمونا وقد قبضوا علينا وأخذونا عند ملكهم، فأمرنا بالجلوس فجلسنا وقد أحضروا لنا طعاماً لم نعرفه ولا في عمرنا رأينا مثله، فلم تقبله نفسي ولم آكل منه شيئاً دون رفقتي، وكان قلة أكلي منه لطفاً من الله تعالى حتى عشت إلى الآن. فلما أكل أصحابي من ذلك الطعام، ذهلت عقولهم وصاروا يأكلون مثل المجانين وتغيرت أحوالهم وبعد ذلك أحضروا لهم دهن النارجيل فسقوهم منه ودهنوهم منه، فلما شرب أصحابي من ذلك الدهن زاغت أعينهم من وجوههم وصاروا يأكلون من ذلك الطعام بخلاف أكلهم المعتاد، فعند ذلك احترت في أمرهم وصرت آتأسف عليهم وقد صار عندي هم عظيم من شدة الخوف على نفسي من هؤلاء العرايا وقد تأملتهم، فإذا هم قوم مجوس وملك مدينتهم غول وكل من وصل إلى بلادهم أو رآوه في الوادي أو الطرقات يجيئون به إلى ملكهم، ويطعمونه من ذلك الطعام ويدهنونه بذلك الدهن فيتسع جوفه لأجل أن يأكل كثيراً ويذهل عقله وتنطمس فكرته ويصير مثل الإبل فيزيدون له الأكل والشرب من ذلك الطعام والدهن حتى يسمن ويغلظ، فيذبحونه ويشوونه ويطعمونه لملكهم. وأما أصحاب الملك فيأكلون من لحم الإنسان بلا شوي ولا طبخ». كما أن كتب التراث تشير إلى أكل لحوم البشر في المجاعات. ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي في «شرح نهج البلاغة» ثورة الزنج وهجومهم على البصرة، وكيف أدت المجاعة إلى فظائع، فكان أهل البصرة يأكلون كل شيء، حتى البشر: «قال: واستخفى من سلم من أهل البصرة في آبار الدور، فكانوا يظهرون ليلاً، فيطلبون الكلاب فيذبحونها ويأكلونها، والفار والسنانير. فأفنوها حتى لم يقدروا على شيء منها، فصاروا إذا مات الواحد منهم أكلوه، فكان يراعى بعضهم موت بعض، ومن قدر على صاحبه قتله وأكله، وعدموا مع ذلك الماء، وذكر عن امرأة منهم أنها حضرت امرأة قد احتضرت، وعندها أختها وقد احتوشوها ينتظرون أن تموت فيأكلوا لحمها، قالت المرأة: فما ماتت حسناء حتى ابتدرناها فقطعنا لحمها فأكلناه، ولقد حضرت أختها ونحن على شريعة عيسى بن حرب وهي تبكي ومعها رأس الميت...». يورد المقريزي أخبار الكثير من المجاعات في الدولتين الأيوبية والفاطمية، فيروي «إغاثة الأمة» عن مجاعة وقعت في فترة حكم المستنصر بالله الفاطمي: «واستولى الجوع لعدم القوت، حتى بيع رغيف خبز في النداء بزقاق القناديل من الفسطاط كبيع الطرف بخمسة عشر ديناراً، وبيع الأردب من القمح بثمانين ديناراً. وأكلت الكلاب والقطط حتى قلّت الكلاب، فبيع كلب ليؤكل بخمسة دنانير. وتزايد الحال حتى أكل الناس بعضهم بعضاً، وتحرز الناس، فكانت طوائف تجلس بأعلى بيوتها ومعهم سلب وحبال فيها كلاليب، فإذا مرّ بهم أحد ألقوها عليه ونشلوه في أسرع وقت، وشرحوا لحمه وأكلوه (...) واحتاج المستنصر حتى باع حلية قبور آبائه. وجاءه الوزير يوماً على بغلته، فأكلتها العامة، فشنق طائفة منهم، فاجتمع عليهم الناس فأكلوهم»، وأخرى في العهد الأيوبي: «ثم وقع الغلاء في الدولة الأيوبية، وسلطنة العادل أبي بكر بن أيوب، في سنة ست وتسعين وخمسمائة. وكان سببه توقف النيل عن الزيادة وقصوره عن العادة (...) فتكاثر مجيء الناس من القرى إلى القاهرة من الجوع. ودخل فصل الربيع، فهب هواء أعقبه وباء وفناء. وعدم القوت حتى أكل الناس صغار بني آدم من الجوع. فكان الأب يأكل ابنه مشوياً ومطبوخاً، والمرأة تأكل ولدها. فعوقب جماعة بسبب ذلك، ثم فشا الأمر وأعيا الحكام. فكان يوجد بين ثياب الرجل والمرأة كتف صغير أو فخذه أو شيء من لحمه. ويدخل بعضهم إلى جاره فيجد القدر على النار، فينتظرها حتى تنتهيا، فإذا هي لحم طفل. وأكثر ما يوجد ذلك في أكابر البيوت. ووجدت لحوم الأطفال بالأسواق والطرقات مع الرجال والنساء مختفية. وغُرّق في دون شهرين ثلاثون امرأة بسبب ذلك. ثم تزايد الأمر حتى صار غذاء الكثير من الناس لحوم بني آدم بحيث الفوه، وقل منعهم منه، لعدم القوت من جميع الحبوب وسائر الخضروات وكل ما تنبته الأرض». ويشير أمين معلوف إلى نوع من الكانيبالية الدينية الحربية في كتابه «الحروب الصليبية كما رآها العرب»، في فصل «أكلة لحوم البشر في المعرة»: «اجتاحت الجيش مجاعة فظيعة في المعرة والجأتهم إلى ضرورة جائرة هي التقوّت بجثث المسلمين، لكن ذلك يبدو مقولاً على عجل، لأن سكان خراج المعرة كانوا يشهدون طوال ذلك الشتاء المشؤوم برؤوس سيوفهم ويملحونها بالتراب ويتخاطفون أكثرها جودة» (ترجمة. رحاب عكاوي، دار الحرف العربي)، كما تظهر عند بطل كوكس-سيتي (1908)، رواية غيوم ابولينير، الذي لا يجد حرجاً أثناء هربه من بعض المنقبين عن الذهب في تناول اللحم البشري دون كثير من التقزز: «لحم النساء هو أكثر دسماً، وجلدهنّ أكثر طراوة. بحثت في الأجساد عن جثة امرأة وقطعت منها الفدميْن. استغرق الأمر مني ساعتين كاملتين، لكنني انتهيت بقطعتي لحم فخذ كبيرتين فوق رأسي أوثقتهما بالحزام إلى عنقي».

في «دراكولا» الصادرة عام 1897 لإيرلندي برام ستوكر، يمكننا تبيّن البعد المرضي أو الطقوسي الباطني للكانيبالية (بترجمة إنجي أحمد، منشورات هنداوي): «وفي اليوم التالي، عادوا ووجدوا لوسي نائمة في نعشها. ألقى الرجال نظرة أخيرة على فم المرأة الجميلة الذي كان لا يزال ملطخاً بالدماء. كانت الابتسامة التي ارتسمت على شفتيها أثناء نومها تقليداً شيطانياً لعذوبتها التي تميزت بها أثناء حياتها. أخرج فان هيلسنج أدواته من حقيبته الطبية سريعاً، ومن بينها وتد خشبي مستدير مسنن الطرف. شرح فان هيلسنج الأمر قائلاً: «عندما يصبح ضحايا العض أشباحاً بصورة قاطعة، يواصلون افتراس ضحايا جدد وينشرون شرهم. وإذا لم نوقفهم تتسع الدائرة دون توقف، كالموجات التي تتكون عند إلقاء حجر في الماء». تحدث بلطف إلى صديقه قائلاً: «أرثر، لو كنت تركت لوسي تقتل ذلك اليوم عندما منعتها أول مرة أو الليلة الماضية عندما أردت أن تحتضنها ثانيةً، لأصبحت مصاص دماء أيضاً»».

تبرز الكانيبالية الدينية أيضاً لدى بول موران في «السحر الأسود» (1928): «الرجال-الثعابين، جالسين القرفصاء، يأكلون ملكهم، «العنزة بلا قرون»، هكذا كانوا فيما بينهم يشيرون للحم البشري وفي الوقت ذاته الذي كانوا يزدردون هذا اللحم المنكّه، كانت روح ملكهم تغور في بطونهم، تلك القبور الساخنة». أما لدى جوزيف كونراد في رواية «قلب الظلام» (1902) فنجد أنفسنا أقرب إلى الكانيبالية الثقافية وثنائية المستعمِر/ المستعمَر: «لماذا لم ينقضّوا علينا عندما استبدّ بهم الجوع، وقد كان عددهم ثلاثين بينما لم تتجاوز الخمسة، وكانت أجسامهم ضخمة قوية لا يبالون بعواقب الأمور، يتسمون بالشجاعة والقوة البدنية رغم أن جلدهم لم يعد مصقولاً وعضلاتهم لم تعد صلبة... نظرت إليهم باهتمام بالغ ولم أفعل ذلك لأنهم لم يأكلوا لحمي، إذ كان من المفروض أنهم قد فعلوا ذلك منذ زمن طويل... ماذا عساي أن أقول؟ أعني أني غير قابل للشهية؟ لقد تملكني هذا الشعور من الغرور طيلة أيامي آنذاك، ربما لأني كنت مصاباً بالحمى قليلاً فاخذت أتأمل مجذاف المؤخرة أو الشخص العابث قبل وقوع الهجوم الضاري. هل ثمة رادع؟ أي رادع هذا؟ أهو ضرب من الربية؟ القرف، الصبر، الخوف أو أي نوع من الشرف البدائي؟ فما من خوف قادر على مقاومة الجوع وما من صبر قادر على إرهاقه، وببساطة لا يوجد قرف حيث يوجد الجوع» كما نقرأ في «روبنسون كروزو» لدانيال ديفو (1719) بترجمة بطرس البستاني أكثر من إشارة إلى تصوير أهل الجزر من الكانيباليين «الهمج»: «ثم رأيتهم، بواسطة نظاراتي، يجرّون من القوارب رجلين منكودي الحظ ويأتون بهما إلى البر لأجل الذبح، فتقدم أحدهم إلى واحد منهما وضربه على رأسه بنبوت أو سيف من خشب حسب عادتهم، فسقط لوقته إلى الأرض، فأخذ اثنان أو ثلاثة منهم يشتغلان في فَرْره وتقطيعه. وأما الرجل الآخر فكان واقفاً وحده جانباً إلى أن ينتهوا من رفيقه ويأتي دوره... وبالحقيقة كان المنظر عندي فظيعاً، وأما جمعة فلم يبال به. فإن المكان كان مغطى بعظام الناس، والأرض مصبوغة بدمهم. وكانت قطع كبيرة من اللحم مطروحة هنا وهناك قد أكل جانب منها، وشويت قليلاً بالنار. وبالاختصار كان هناك كل علامات وليمة الظفر التي كانوا قد تنعّموا بها بعد الغلبة على أعدائهم. فرأيت ثلاث جماجم وخمس أيدٍ وعظام ثلاث أو أربع سيقان وأقدام وأجزاء أخر كثيرة من الجسم. وأخبرني جمعة بواسطة الإشارات أنهم كانوا قد أتوا إلى هناك بأربعة من الأسرى ليعملوا وليمة، فأكلوا ثلاثة منهم وأنه هو الرابع، وبأنه حدثت حرب بينهم وبين ملك يجاروهم، فأخذوا كثيرين من رعاياه أسرى. وكان بيان أن جمعة هو من جملة رعايا ذلك الملك. فأخذت الفئة الظافرة كل أولئك الأسرى إلى أماكن مختلفة لكي يأكلوهم كما فعل أولئك الأشقياء بالذين أتوا بهم إلى هذه الجزيرة ثم أمرت جمعة أن يجمع معاً الجماجم والعظام واللحم وكل ما بقي من الوليمة كومةً واحدةً ويشعل عليها ناراً كبيرة ويحرقها جميعاً حتى تصير رماداً. ووجدت أن جمعة كان يشتهي أن يأكل بعضاً من اللحم لأنه كان لم يزل أكّال لحم الناس في طبيعته. إلا أني أظهرت كراهة عظيمة لذلك العمل، فلم يعد يتجاسر أن يُظهر ما انطوت عليه طبيعته من هذا القبيل، وعلى الخصوص لأني كنت أفهمته بواسطةٍ ما أني أقتله إذا بدا منه شيء من ذلك».

> يطالعنا كتاب «الحيوان» للجاحظ بإشارة فذة إلى الكانيبالية الثقافية

أنطوني هوبكنز بدور هانيبال ليكتر في فيلم «صمت الحملان» (1991)

ترجمة

أمير ابتهاج سايه: من دِفء يديكَ، ثملة في عيني

ترجمة وتقديم: محمد الأمين الكرخي

برحيل أمير ابتهاج سايه (1928- 2022) في العاشر من آب (أغسطس) الحالي، يكون الشعر الفارسي الحديث، قد خسر أحد الأسماء الكبيرة التي قدمت أعمالاً خالدة أكان في الشعر الكلاسيكي المحدّث، الغزلية الحديثة تحديداً أو الشعر النيمائي (نسبة إلى الرائد علي اسفندياري نيما يوشيج). «لم يرد أن يُعرف، لكنه قال إنه يعرف كيف يقول معظم ما يريد قوله، أي أنه وجد طريقة للقول». لعل هذه العبارة تلخص سيرة شاعر عاصرت حياته وأعماله العديد من الاضطرابات السياسية والثقافية والأدبية الإيرانية.

ولد أمير ابتهاج سايه عام 1928 في مدينة رشت (شمال إيران). كتب في سيرته الذاتية التي نشرت في مجلة «حافظ» الفصلية: «إذا سأل أحدهم والدتي عن حالتي، كانت تبكي وتقول: – إن لديَّ ابناً مجنوناً. انتقلنا في الرابع عشرة من عمري إلى طهران ولم أقتنع بالدراسة، رسبت في المرحلة المتوسطة ولم أعد للمدرسة قط». انطلقت تجربته الشعرية في بداية شبابه مع ديوان «الترانيم الأولى» (1946). بعد ذلك، أصبحت كاليا، الفتاة الأرمنية التي وقع في غرامها، الملهم الأساس لقصائده الرومانسية. بعد سنوات طويلة من تلك العلاقة الغرامية، سيعود سايه إلى كاليا عبر القصيدة المنفتحة على القضايا السياسية، ليكتب مطوّلته «لقد تأخرتِ يا كاليا». من هذه القصيدة تحديداً، فتح غزليته على أبعاد اجتماعية وسياسية معاصرة، جعلها تتمايز عما كتبه أنفاً شعراء الغزلية الكلاسيكية.

يقترن اسم ابتهاج بالغزلية الفارسية الحديثة، رغم إسهامه المهم في الأشكال الشعرية الأخرى، فهو مُقِلّ في قصيدة التفعيلة والمثنوي، ويعتبر من أبرع الشعراء الذين نجحوا في أسلوب نيما.

تتميز قصيدته بمناخها ومشهدها المؤثر مع انفتاح وتأثر ملحوظ بدواوين الشعراء الكلاسيكيين وتراث النثر الفارسي، حرص ابتهاج سايه على أن يكون معاصراً من دون قطيعة مع الأدب الفارسي الكلاسيكي. وهي الخصوصية الأساس التي جعلت قصيدته ذات لغة وموسيقى مميزتين عن سواهما.

مع إشرافه على قسم الموسيقى في الإذاعة والتلفزة الإيرانيين في سبعينيات القرن الماضي، قام مطربون تراثيون كبار أمثال محمد رضا شجريان، وعلي رضا افتخاري، وشهرام ناظري، وحسين قوامي، ومحمد أصفهاني بأداء بعض غزلياته وقصائده، وقد أسهم ذلك في اتساع شهرته بين الإيرانيين.

في حوار مع مجلة «جامط» الإيرانية، يؤكد ابتهاج أن علاقته بالموسيقى بدأت منذ صباه. كان حريصاً على الاستماع إلى موسيقى الشعوب من أجل العثور على اليوتوبيا الخاصة به، أي الموسيقى التي تمكّن جميع البشر من التواصل عبرها. في أحد اللقاءات الأخيرة التي تحدث بها إلى جمهوره في عام 2019، قال: «لقد كنت على دراية بلغة الشعر منذ حوالى 80 عاماً وأعتقد أنني أعرف كيف أقول معظم ما أريد أن أقوله، أي وجدت حلاً للتعبير، لكن القصيدة الأكثر تعبيراً التي كتبتها وأعتقد أنني راضٍ عنها، لا تعبّر عن جزء جد بسيط مما في داخلي». يضيف أنّ معظم الفنون في الفن الإيراني ليست فناً واحداً، بل هي مزيج من الفنون الأخرى: «أتمنى أن يتشارك القارئ في أسرار التعبير».

عبّر ابتهاج في أكثر من مناسبة عن انتمائه لليسار، من دون أن ينكر تواصله الروحي مع الموروث الشيعي في بُعده العاطفي. لقد ترعرع في كنف عائلة محافظة، ونشأ في بيئة ثقافية يسارية، ولا يرى أي تناقض في تصريحاته بين أنّه ماركسي يساري حتى آخر لحظة من حياته، وبين البُعد الروحي. يكتب قصيدة مطولة لِلْمُنَظِّر الماركسي إحسان طبري من جهة، وللحسين بن علي من ناحية أخرى: «يا حسين بن علي لا يزال دمك دافئاً يغلي من الأرض توجد حدائق الورود في كل مكان من نافورة دمك ترتوي حدائق». توفي أمير ابتهاج سايه في ألمانيا، حيث كان يقيم لسنوات عديدة، ولمْ تعلن أسرته بعد عن المكان الذي سيُدْفَن فيه.

شذرات من قصائده

على شفتي الحبيب
ترتسم بشارة الحرية؛
هو الروح، وفداءً له: مائة
طائر حبيس.
■■■

في أذن الوردة اليانعة
وشوشَ العشب:
– أنت الوافدة مع
الربيع، يا من وجهك
أكثر نضارة من ألف
ربيع.
■■■

لم يقبض قلبك على
قبس القمر؛ حطِّمه يا
صاح، إنما هو وعاء
للغبار.
■■■

في وجهي شهر
الصباح سيفه، صارخاً
لماذا لم يقتلك الليل،
اقتلني أنت كي لا
أخضع لقضاء الليل.
■■■

بغية رضاك، تهب هذه
الريح الزكية؛ حباً بك،
تتراقص الأشجار
وتتفتح الأزهار.
■■■

تنسج الشمس ظلها،
تودعه في الأفق،
وتسكن في دارك، أي
حبيبي.
■■■

من دفء يديك، ثملة
عيني؛ انهض فلأجلك
ينثر الربيع الورد.
■■■

تحزنني خيبة
الإسكندر، كلما بلغت
كَالْخِضْر ينبوعَ الخلود.
■■■

نحن عشبة على بحر
الوجود، وهل يزن
البحر ثقل عشبة على
موجة؟
■■■

يقول لي:
- علاج ألم العشق هو
الصبر.
ولكن، لماذا يحدثني عن
الحجارة والكأس؟
■■■

من صرخة العندليب،
يسيل الدم على العشب؛
الغوث من وردة تتآلف
مع الشوك.
■■■

لا يفارق خاطري خيال
دام يتربص بشجرة
الأرجوان: منجل القدر.
■■■

مستنيراً بقنديل
الصاعقة، أسير على
خطى الصباح في
متاهة الليل، كالرعد
أصل بالصوت البالغ
منتهاه.
■■■

وهذه القصص عن
الفردوس وأمنية الجنة
هي محض قول وخيال
من عالمك وعالمي.
■■■

أصغ إليَّ ، إني أحادثك
بشفاه صامتة؛ فأجبني
بنظرة هي لغتنا
المشتركة.
■■■

في عيني يسطع شعاع
وصالِه البهيج
■■■

لا خوف من الموت؛
أبسط قضية أمامنا:
الموت. موتنا أسهل من
قطف وريقة. وما خوفي
إلا على هذه الحديقة؛
فأحد ما يتربص خلف
الباب بفأس حادة.
■■■

يا للبشري يا للبشرى،
حظيت برضا الحبيب
صرت ظلاً له وللشمس
اصطحبني روح
القلب وضوء المقلتين،
أنا الحبيب المرضي
والحبيب الراضي.
■■■

أنا أنا الكعبة، والقبلة أنا؛
أينما ولّيتم وجوهكم
ثمة أنا.

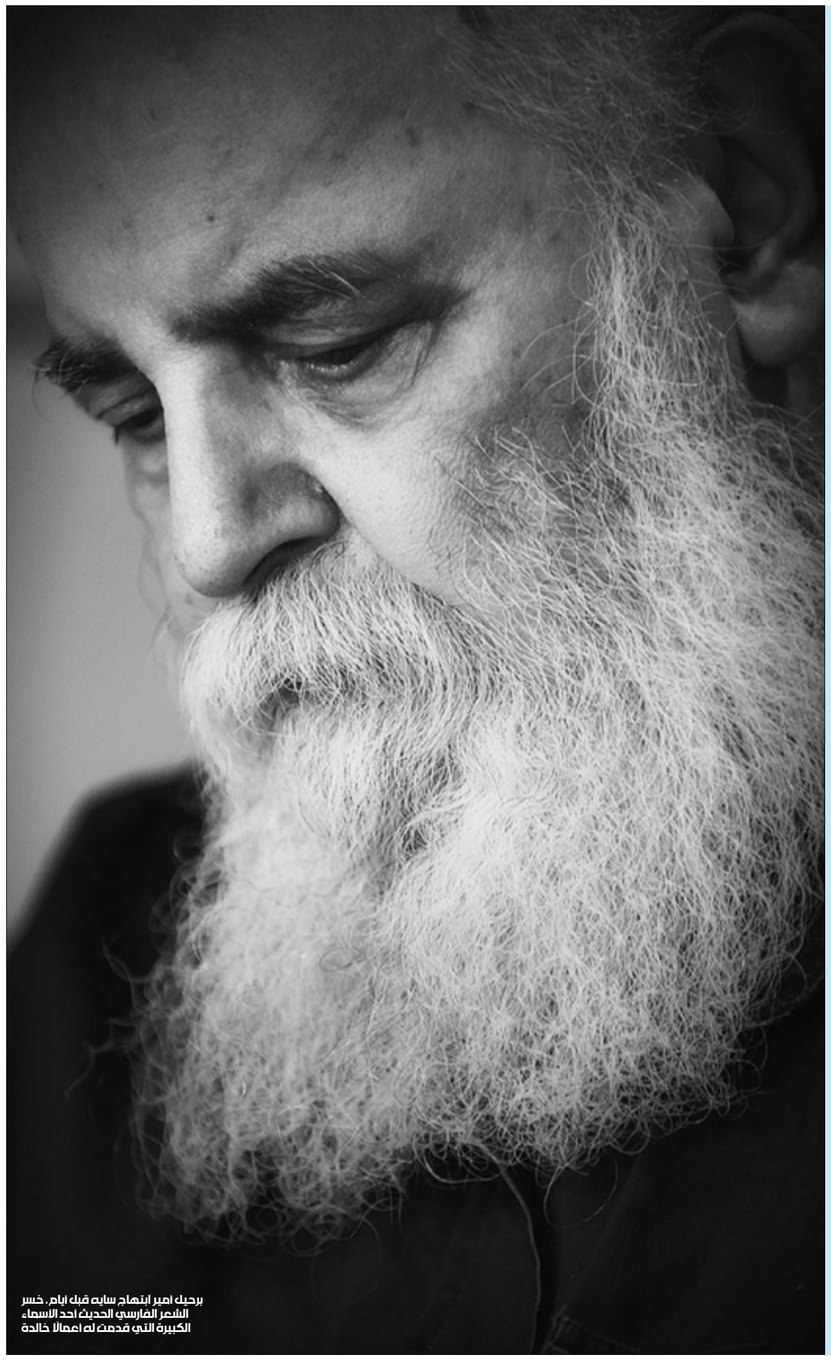

برحيله أمير ابتهاج سايه قبل أيام، خسر الشعر الفارسي الحديث أحد الأسماء الكبيرة التي قدمت لنا أعمالاً خالدة

قصة

الأم

دارين حوماني*

إلى كلّ أم من الطائفة الشيعية في لبنان خُرمت من أطفالها عند الطلاق

على غير عادتها، أطالت في تبديل ملابسها، كانت تفكر في ترتيب هذه الثياب المتراكمة أولاً، لا شيء مكانه، شيء يشبه العبث الذي أختارته لحياتها. لا شيء مكانه في استوديو صغير تقيم فيه قريباً من وسط العاصمة. هي ذاهبة لإجراء مقابلة من أجل وظيفة، نظرت من النافذة فقرأت إعلاناً تجارياً يقول: «ما هي السعادة؟». عرفت أنّ هذا أحد الأساليب التسويقية، بعد أسبوع سيعلّقون الجواب. فكّرت ما أتفه هذا العالم، لا توجد سعادة على هذه الأرض. السعادة الحقيقية الوحيدة الآن أن تتمكن من الحصول على الوظيفة قبل أن ينقضي الشهر، بعدها إن حصلت عليها ستكون السعادة شيئاً آخر، أن لا يكون مديرها قاسياً، وأن لا يكون متحرشاً، فتضطر إلى التنازل له لأنها مضطرة للعمل.

بعدها، ستتذكر أن لديها ثلاثة أولاد هجرتهم بقسوة بالغة على نفسها لأسباب عديدة تتعلّق بوالدهم، لا تريد أن تتذكر الأسباب، لكنها لا تجد بدّاً من ذلك وهي تقرأ هذا الإعلان، لأنه يذكرها بسؤال آخر «ما هي التعاسة؟». أحد تلك الأسباب أنّها منذ أول أيام حياتها مع والد أطفالها، وجدت نفسها تفتش عن العاطفة في مكان آخر. هناك سبب آخر ربما ليس ذا نفع، فليس له أثر، فقد كان يحب شدّ شعرها المجعّد حين لا تُحسن إطعامه أو النوم معه، يعرف جيداً كيف يسبّب لها الألم من دون ندوب واضحة على جسدها..

فلنعد إلى ثيابها، إنها لا تجد شيئاً مكانه، نبشت بين الثياب، كلما حاولت ترتيبها تحوّلت إلى فوضى إضافية، أحسّت أنها ستبدأ بالبكاء، لكنها وجدت بين الثياب رؤوساً كثيرة لرجال مرّوا في حياتها، هم أنفسهم الذين بحثت عن العاطفة معهم في ما مضى يوم كانت لا تزال تحمل قلب طفل. ضحكت وبدأت بترتيب الرؤوس، الأكثر شراً بينهم في الزاوية، ثم الأقل، فالأقل؛ كان أحدهم يقول إنّه صديقها ولكنهما كلما انفردا، طلب تقبيلها في فمها. آخر كان يقول لها كم أن زوجها شرير ويسألها كيف تتمكن من النوم معه، ويردّد لها دائماً أنه يحب أن يعطيها الحب الذي تحتاجه في الفراش. آخر كان يقول لها إنّه لا يجوز أن تكبر وهي في هذا العمر، المثالي لممارسة الحب، بدون رجل بقدَر جمالها. أحدهم كان مديرها، قال لها إنّه سيُبعدها عن إحدى الموظفات السيئات إلى موقع آخر في العمل بحيث لا تكون تحت سلطتها، إن زارته في البيت وتناولا الطعام سوياً. وحين ذهبت تبيّن أنه يريد أن يتناولها هي.. الرأس الأكبر كان لزوجها، الذي قالت لها أمها يوماً عنه إنه قبرها ولن تسمح لها بالانفصال عنه. كانت أمّا مثالية تمكنت من تزويج بناتها الخمس قبل أن يبلغن العشرين، فهي لا تريد أن يُقال عنها إنها أم لفتاة عانس، أو لفتاة مطلقة.

عادت تتأمل الرأس، كان رأس زوجها أكبر أسباب حزنها العميق. حملته ضاحكة وفكّرت «لن أضعه في الزاوية، بل كمنحوتة على ظهر الخزانة، وهكذا يمكن أن أراه كل صباح، وأتذكر كيف تخلصتُ منه». فعلَتها ووضعته على ظهر الخزانة، نظرت إلى أصابعها، كان كل إصبع قد تحوّل إلى سكين، فشعرت بالرعب العميق وهي تتأمل أصابعها «كيف يمكن أن أحضن أطفالي بعد الآن، يجب أن أعيد الأمور إلى نصابها، رأس زوجي إلى جسده، وكل رأس خلّصته من جسده إلى جسده.. عليّ أن أعود بالزمن إلى الوراء، فاستعيد أصابعي اللّيّنة فلن يتقبّلني أطفالي بعد الآن». ثم فكّرت: «السعادة، ما هي السعادة، أهكذا كان يقول الإعلان، لقد مرّ الوقت وأنا أحاول ترتيب الغرفة ولا أحسن ترتيبها.. يبدو أني كيفما حاولت إصلاح حياتي لن أصلحها.. ماذا كنت أريد أن أقول، أريد أن أحضّر لأطفالي فطور الصباح وأن آخذهم إلى المدرسة كل يوم، وأعيدهم إلى البيت، وناكل سوياً وهم يحدّثونني عن المدرسة، البنت، نعم هي الأكثر حديثاً عما حصل في مدرستها، أخوها يكبرها بسنة يهزأ منها، الآخر يأكل وينظر إلى هاتفه ولا يهتم، كنت أريد أن أساعدهم في دروسهم بعد الظهر، وأن نخرج عصراً يوم الأحد، وأن أقبّلهم ويقبّلونني قبل النوم.... السعادة.. نعم هذه هي فقط السعادة لأم فقدت أطفالها في محكمة تنطق بدين إله لا يدري ماذا يحصل في غيابه باسمه هناك..».

(*) لبنان، مونتريال

(**) ينص القضاء اللبناني على أن يعود الشعب إلى المحاكم الشرعية في قضايا الأحوال الشخصية (زواج وطلاق)، ولكل طائفة ومذهب محكمتهما الخاصة. تنص المحكمة الشرعية الجعفرية بأنه عند حدوث الطلاق تكون حضانة الأولاد للأب، للصبي من عمر سنتين وللبنت من عمر 7 سنين، على أنه يحق للأم أن ترى أولادها 24 ساعة في الأسبوع فقط (د.ح.)

كليمت ــ «الأمل 2» (زيت على قماش، 1907).

نص

على عكس ما يُروى ويُقال

أسامة غنم *

محظوظ جداً من يعلمه أهله القراءة مبكراً. كم هو رائع أب لا يقوى على لمس أبنائه إلا لأخذ حرارة جبهتهم أو ليقول لهم وداعاً.

أم حرة هي تلك التي تحتفظ برسوم أبنائها الأول حتى تموت هي بين أذرعهم.

غنيّ جداً هو البيت الذي يكتب أحد أفراده قصائد وقصصاً قصيرة فيسمعها آخرون من ذات البيت ويقولون له رأيهم، ثم يجلي أحدهم الصحون الباقية، ويرمي آخر سطل القمامة مفكراً بأسلوبه في السرد.

ليست القبور الدليل القاطع على كم أحببنا بعضنا البعض.

لا ليست القبور.

بل كتب عليها ملاحظات باقلام ناشفة وأقلام تخلط قداسات باخ بترييف المدن وأغانٍ من قصائد الشعر المعاصر ودفاتر شخصية فيها أسماء كل القرى تغوص كلها في قعر خزانة ملابس مات أصحابها في مكانهم الأصلي على عكس ما يروى ويُقال..

* دمشق

بول كلي ــ «الخزانة» (زيت على قماش، 1940)

تاريخ

أديب الشيشكلي بين «الحقيقة المغيّبة» والتاريخ المعروف

وثائق ومذكرات وصور تشكك مادة تاريخية دسمة

تهاني نصّار

حيثما يطل طيف العقيد السوري أديب الشيشكلي (1909-1964) الذي اغتيل في منفاه في البرازيل عام 1964، تتبادر معه صفات وأحداث تُلازم ذِكره؛ وإن كان بعضها خاطئاً أو منقوصاً. يسارع كثيرون ممّن تناولوا اسمه في أوراقهم إلى التطرق إلى أحداث السويداء التي كانت السبب في تنحّيه من منصبه، بوصفها أول حادثة عربية -في حينها- يُفتح فيها النار بوجه المدنيين وبأمر مباشر من رئيس البلاد. يتقدّن اسمُ العقيد بمقابلات تفاوض مع الكيان الصهيوني استعداداً منه للسلام مع «إسرائيل»، في الوقت الذي يعرف عنه أنّه شارك في جيش الإنقاذ العربي. ولا يغيب عن الدراسات التاريخية التركيز على سياسة أديب الشيشكلي الداخلية بوصفه ديكتاتوراً فرض حلّ جميع الأحزاب في سوريا منها «حزب الشعب» و«الحزب الوطني»، ثم أنشأ حزبه الذي عُرف باسم «حركة التحرر العربي».

إذاً هو شخصية إشكالية اشتهرت بلقب «رجل الانقلابات» لمشاركته في انقلابَين عسكريين قبل أن يقوم هو بتنفيذ انقلابه الأول عام 1949. لم يدوّن الشيشكلي سيرته الذاتية مثل معاصريه من رجال الدولة كأكرم الحوراني الذي كتب ما يقرب من 3600 صفحة على سبيل المثال. ولم يحفظها على شكل تسجيلات صوتية كما فعل حسني البرازي الذي حفظ مذكراته في سنوات منفاه لصالح مشروع التاريخ الشفهي في الجامعة الأميركية. من هنا جاء كتاب «أديب الشيشكلي- الحقيقة المغيّبة» (دار رياض الريس ـ 2022) للمؤلفَين بسام برازي وسعد فنصة، ليلقي «المزيد من الضوء على هذه المرحلة، والتاريخ لهذه الشخصية التاريخية، بعقل بارد، وموضوعية. على ضوء الوثائق والشهادات والمراسلات التي أصبحت متاحة الآن بعد أن أفرجت عنها وزارات الخارجية في بعض الدول المعنية ورفعت عنها السرية» (ص10).

يمتد الكتاب على 575 صفحة (من القطع المتوسط) ويتألف من خمسة وعشرين فصلاً، بالإضافة إلى ملحق الصور والوثائق الذي يعرض في ثلاثين صفحة صوراً بالأبيض والأسود، مع شخصيات عربية وأجنبية منها: الرئيس اللبناني بشارة الخوري، رئيس الوزراء سامي الصلح، الرئيس كميل شمعون، الأمير سعود بن عبد العزيز في زيارته إلى سوريا، ووزير الخارجية الأميركي جون فوستر دالاس في زيارته للقصر الرئاسي عام 1953. كما يضم هذا الجزء مذكرة محادثة بين الشيشكلي وفوستر (مستخرجة من وثائق الخارجية الأميركية)، ووثائق أخرى عن الخارجيتَين الفرنسية والبريطانية، وشهادات لشخصيات معروفة. بالطبع، هناك مجموعة من حوالى خمسين صورة موزعة بين الفصول، أخرها صورة عن رسالة الشيشكلي الأخيرة قبل خمسين يوماً من اغتياله وقد أرسلها إلى ابن شقيقته بسام برازي، أحد مؤلّفَي هذا الكتاب. أما المؤلف الثاني الباحث شقيق نذير فنصة (زوج شقيقة حسني الزعيم) الذي ساعده على الإطاحة بشكري القوتلي عام 1949؛ الانقلاب الأول في تاريخ سوريا الحديث. ينقسم الكتاب في مضمونه إلى أربعة أجزاء: الشيشكلي ودوره في حرب النكبة وما بعدها وموقفه من الكيان الصهيوني «إسرائيل»، موقع تراس البلاد، الانقلابات العسكرية الأول، سياسات الشيشكلي الداخلية وإصلاحاته الاجتماعية والاقتصادية والزراعية والصناعية، ثم أحداث جبل العرب وتداعياتها واغتياله في منفاه.

يلحظ من النص انحياز مؤلفَيه لصالح الشيشكلي في الحديث عن شخصه وتقديم مواقف ملتبسة مدعّمة باجزاء من شهادات عدة؛ وإن حاول برازي إيضاح الفرق بين انحيازه له بحكم قرابته منه، وبين الشهادات التي نقلها «بأمانة ودقة وموضوعية». وليست هناك مشكلة في القرابة بل إنّها في كثير من الأحيان تغني البحث برسائل وصور وأحداث خاصة وعائلية قد تسهم في نقل صورة أوضح عن شخصية الشيشكلي، لكن الفكرة تكمن في اختيار الشهادات وطرح المصادر؛ بالأخص في ما يرتبط بعلاقة الشيشكلي بالكيان الصهيوني. يفرد الكاتبان ثلاثة فصول للحديث عن نشأة الشيشكلي في بيئة وطنية، وتطوعه في ثورة الـ 36، ثم في جيش الإنقاذ العربي قائداً لفوج اليرموك الثاني الذي دخل إلى الجليل واشتبك مع قوات البالماخ في معركة المالكية. يستشهد فنصة وبرازي بمقاطع من مذكرات أكرم الحوراني، ومدوّنات الطبيب والأديب عبد السلام العجيلي، لعرض معركة تحرير قلعة جدين الأثرية ولشرح كيف سقطت صفد بيد الصهاينة بعد أيام من صمودها وسيطرة العرب عليها. ثم يعود المؤلفان في الفصل السادس عشر لإيضاح علاقة الشيشكلي بـ«إسرائيل»، مستخدمين لقب «عدو إسرائيل رقم 1»، لتصدّيه لاختراقات الصهاينة ومضايقتهم عند الحدود السورية. وبالفعل، حين أمر بن غوريون بإخلاء قريتَي «كراد البقارة» و«كراد الغنامة» العربيتين في سهل الحولة وتدميرهما بالكامل، ردّ الشيشكلي باستهداف دورية شرطة إسرائيلية تلتها مناوشات بالاتجاهين. لكن التاريخ لا ينسى أنّ الشيشكلي في مواقف عدة كان على استعداد للسلام مع العدو الإسرائيلي؛ وهو أمر يذكره الكاتبان مع تبريرات من نوع «الشيشكلي شخصية واقعية وبراغماتية»، و«كان يعرف أن هزيمة إسرائيل بالسلاح مستحيلة»، و«كان يود هزيمة إسرائيل بالاقتصاد». يعلّق الباحث السوري سامي مبيّض في وثائقي «أديب الشيشكلي... رجل الظلال» (إنتاج «الجزيرة» ـ 2022) على حادثة مفاوضات الشيشكلي مع مردخاي ماكليف، نائب رئيس أركان الجيش الإسرائيلي بقوله: «كان لديه رغبة في توقيع سلام ينهي الحرب لكي تذهب ميزانية الدولة لصالح التعليم وليس لصالح المؤسسة العسكرية»، لكنه عاد إلى سياسة المواجهة وتهديد إسرائيل عند فشل هذا اللقاء.

تمتد الانقلابات العسكرية في الكتاب من الفصل الرابع إلى الثامن؛ وتبدأ مع الانقلاب الأول في سوريا الذي قاده حسني الزعيم في آذار (مارس) 1949 على الرئيس شكري القوتلي ورئيس الوزراء خالد العظم. ويعلّق الكاتبان على أن نتائج الانقلاب تشير إلى «فرضية وجود علاقة ما بالمخابرات الأميركية، فقد عقد هدنة مع إسرائيل، وقبل المساعدات الأميركية التي كان قد رفضها الرئيس السابق شكري القوتلي...». وهناك وثائق تصالات سرية بين سوريا وإسرائيل تظهر أن السفير الفرنسي نقل إلى الزعيم «رسائل بن غوريون بضرورة عقد الهدنة التي وقعتها الدول العربية، ورفضت حكومة القوتلي توقيعها» (ص109). وكانت علاقته سيئة بشارة الخوري ورياض الصلح اللذين كانا على علاقة جيدة بالقوتلي، استغلّ الزعيم مشكلة مؤسس «الحزب السوري القومي الاجتماعي» أنطون سعادة مع بشارة الخوري، وحاول دعمه متمنياً أن يقوم بانقلاب في لبنان. وحين صدر قرار الحكومة اللبنانية بإعدام سعادة، لجأ إلى الزعيم لكنّ الأخير نكث بوعوده وسلّمه إلى السلطات اللبنانية. سرّح حسني الزعيم أديب الشيشكلي من الجيش ووضعه تحت ما يشبه الإقامة الجبرية لأنه، حسب الكتاب، انتقد الزعيم على فعلته هذه. ومع أنّ الشيشكلي لم يقسم الولاء للحزب السوري القومي الاجتماعي (بخلاف أخيه صلاح الذي انضمّ للحزب في شبابه)، إلا أنّ مبيّض يروي قصة شائعة عن أنّ الشيشكلي ثار لسعادة وعاد إلى جوليت المير (زوجة سعادة) حاملاً قميص حسني الزعيم الملطخ بالدماء. أدت هذه الأحداث إلى الانقلاب الثاني بقيادة سامي الحناوي الذي أعاد الشيشكلي إلى الجيش وعيّنه أمراً للواء الأول؛ وكان «هذا التعيين غلطة كبرى لقيادة الانقلاب الثاني الذي أطاح به الشيشكلي بعد أسابيع عدة» (ص119)، حسب مذكرات قائد الشرطة العسكرية محمد معروف.

حين تسلّم أديب الشيشكلي رئاسة البلاد، اهتمّ بتنمية اقتصاد سوريا، كما يظهر في فصول الكتاب الممتدة من التاسع إلى الثاني عشر، فقام بتجهيز الزراعة بالآلات الحديثة وتسيير قروض للفلاحين، واستصلاح أراضي الدولة المهملة وتنفيذ مشاريع ري واسعة. وأولى الصناعة اهتمامه، فأصدر إعفاءات ضريبية وجمركية لتشجيع المعامل الصناعية وحمى الإنتاج المحلي بتحديد نوع وكمية الاستيراد من الخارج. كما «عمد إلى تحرير السياسة النقدية من التبعية الفرنسية، وأسس في عهده مصرف سورية المركزي» (ص236). ولحماية الثقافة في سوريا، سعى لتطوير الإذاعة ومضاعفة نشاطها وإطلاق البث بأربع لغات. كما اهتم بالموسيقى والحفلات الرسمية وكان أول ظهور رسمي للمطربة فيروز في مناسبة عيد الجلاء عام 1952 غنّت بحضور الشيشكلي وفوزي سلو. وقامت في عهد الشيشكلي حملة للنهوض بالمتاحف و«إعادة ترميم الصروح الأثرية، منه مسرح تدمر الأثري، الذي ظل مختفياً تحت الرمال لمئات السنين» (ص269).

لكن حكم الشيشكلي لم يدم بسبب أحداث السويداء التي أسفرت عن انقلاب عسكري جديد في عام 1954 لكن هذه المرة على الشيشكلي من قبل الضابط البعثي مصطفى حمدون. يوضح الكاتبان في الفصول الـ 18، 19، و20 أنّ لتلك الحادثة جذوراً نمت قبل حركة التمرد بسنوات حين قال القوتلي إنّ الدروز «أقلية خطيرة»، فغضب منه سلطان باشا الأطرش وقطع اتصالاته معه. واعتبر الدروز «أن قوتهم وامتيازاتهم تقلّصت بشكل مستمر على يد حكومة مركزية قومية تزداد قوة بشكل متزايد» (ص407)، وامتنعوا عن دعم الحكومة المركزية. وحين تجنّب الشيشكلي تسليم الدروز مناصب هامة في الدولة والجيش، حدث تمرّد في جبل العرب في الوقت الذي كان يتم فيه التخطيط لانقلاب على الرئيس. حاول الشيشكلي السيطرة عبر إرسال الجيش لإخماد التمرد، فحصل صدام مع الأهالي أدى إلى سقوط قتلى من كلا الطرفين. على إثر تطور الأحداث، أعلن مصطفى حمدون التمرد وناشد الجيش عبر إذاعة حلب لدعم الانقلاب. ويعرض الفصلان الأخيران من الكتاب كيفية تنحي الشيشكلي عن الحكم ونفيه خارج البلاد حتى استقرّ في البرازيل. وفي عام 1964، أطلق عليه نواف أبو غزالة الرصاص وفر هارباً إلى أن سلّم نفسه واعترف لاحقاً أنه فعل ذلك ثأراً لأحداث السويداء. تشير بعض الوثائق إلى أنّ التمرد والعصيان المسلح كان ممولاً من العراق (نوري السعيد)، كما يخلص برازي وفنصة (الذي يصرّح في مقابلة له على قناة «الحرة» بأنه يفخر بكونه مواطناً أميركياً!) إلى القول بأنّ حزب البعث هو الذي اغتاله.

في المحصّلة، يحمل الكتاب في طياته عدداً هاماً من الوثائق والمذكرات والصور التي تشكل مادة تاريخية دسمة لتدوين مراحل حياة أديب الشيشكلي. ولا شكّ في أنّ الشيشكلي شخصية كان لها في شبابها مواقف نضالية من بينها حادثة تهريب السجناء من مقاتلي ثورة رشيد عالي الكيلاني، نقلها المؤلفان عن نزار صابّ: «الشيشكلي غامر خلال ثورة الكيلاني»، فحين جاءت أوامر عسكرية باعتقال وتسليم الشباب المنسحبين مع قوات المقاومة الشعبية إلى مدينة البوكمال، «أجبر سائقَي الباصين الوحيدين بين البوكمال ودير الزور على حمل الثوار الذين هم في عداد السجناء، وتهريبهم إلى مدنهم وقراهم» (ص36) وكان من بينهم أكرم الحوراني وجمال الأتاسي ونائب صيدا معروف سعد والشاعر سليمان العيسى. وانشقّ بعدها بسنوات عن «جيش الشرق» (Armée du Levant) خلال العدوان الفرنسي على مدينة دمشق. لكنّ وطنيته كانت تصبّ في مصلحة سوريا بمنأى عن القضية الفلسطينية؛ فكان مستعداً لعقد سلام مع الكيان الصهيوني مقابل أن يحصل على الدعم والفرصة لحكم سوريا كما أراد.

ديوان

أحمد يماني... الوداع كخطوة عرجاء

مهند عبد العظيم

في مجموعته الشعرية الجديدة «الوداع في مثلث صغير» الصادرة في طبعتين متزامنتين (دار ميريت في القاهرة ـ ودار المتوسط في إيطاليا) بعد تسع سنوات على آخر إصداراته («منتصف الحجرات» ـ دار ميريت 2013)، يعود الشاعر والمترجم أحمد يماني ليشيّد عبر الوداع عالماً كاملاً. هذا العالم يتكون من جسد ومدينة ومكان وزمن، وعلاقة حب سابقة. ينسج من الوداع بيتاً ونفساً، ثم يودعهما في النهاية. كتب يماني ستة دواوين مختلفين من حيث فكرة كل ديوان وشكل كتابة القصيدة في كل واحد. ينتمي «يمش» ـ كما يلقبه أصدقاؤه ـ إلى مجموعة شعراء قصيدة النثر المعروفة باسم «قصيدة النثر التسعينية» التي تضم شعراء أمثال: إيمان مرسال، علاء خالد، ياسر عبداللطيف، مهاب نصر. يبدأ ديوانه بخيط، ومن هذا الخيط الذي ينفلت تدريجاً، نرى حياةً ثانيةً، حيث الوداع هو الذي بناها.

يبدأ يماني ديوانه بإهداء إلى كاظم جهاد «لا رغبة لديّ في سرد أهوال الرحلة»، ويستهله بقصيدة «الخيط»، ينفلت هذا الخط تدريجاً، ليكتب شعراً عكس رغبته في إخفاء أهوال الرحلة، ينفلت الخيط ويشتد أحياناً بقسوةٍ مفاجئة. يحكي عن أهوال الرحلة وما فيها من سأم، وحبيباتٍ سابقات، ووداع، وخوف من اللغة، وخوف من نسيان الكلمات. تصبح القصيدة في هذا الديوان سلاحاً لمحاربة هذا كله، ويصبح الديوان سلاحاً فتّاكاً لردم كل هذا وبنائه عبر شبكة من خيوط الوداع. يكتب يماني في قصيدة «الخيط»: «أمد يدي على استقامتها، أخفضها وأهز رأسي/ وأحاول أن أشرح في لغة تعلمتها كبيراً/ ذلك الخط الذي يمتد من جبهتي حتى القدمين/ الخيط الذي ينسل وينقطع ويهدأ قليلاً/ لكنه يعود لشد اجرائي، ويطوحني على أقرب مقعد/ أحاول أن أشرح ذلك في لغة تعلمتها صغيراً». تصبح اللغة ذاتَ دلالة ومعنى في فك هذا الخيط وشده. تصبح اللغة هي التي تمد الخطّ على استقامته، وتثني الشاعر عن الوداع وتحرضه على كتابة القصيدة. في ديوان بعنوان «الغناء بصوت خفيض» للشاعر الإسباني أجوستين بوراس (ترجمة يماني) يقول أجوستين: «لماذا نبحث، نحن الشعراء/ عن النجاح في الحياة/ إذا كان هذا موجوداً في العيش للأبد داخل القصائد».

يبدو أحمد يماني مثل صديقه بوراس، وجد نفسه عبر خيط الوداع هذا. في منتصف الديوان، يضع يماني قول أبو يزيد البسطامي «كنت اثنتي عشرة سنة حَدّاد نفسي»، وحَدّاد هنا صيغة مبالغة من صنع الشيء تشكيله، ولعلّ يماني شكل نفسه عبر الوداع، عبر تأمله نفسه من خلال هول رحلة وداع طويلة.

بعد أن يشكّل الشاعر نفسه عبر الوداع، تأتي لحظة ينقطع فيها الخيط، أو يلين خيط الشعر لتتكون القصيدة. تتكون القصيدة ويفكر يماني في الأصدقاء، ويخاف أن يفقد الكلمات واللغة، ويحن إلى الماضي، يصور الشاعر أيضاً تجربة الموت التي مرّ بها عبر فقده أصدقاءه (مثل محمد أبو السعود/ بالوما)، ثم يصرّح عن لحظة تشكيله بصورة شديدة الصدق، وهي لحظة عندما يرى الإنسان موته عبر موت الآخرين، فيكتب: «لحظة تجربة الموت/ يعيشها كل منا في أوقات مختلفة». ثم يوجه أسئلته إلى الشعر كاتباً: «هل أنت كائن حي؟ هل نعرفك وأنت تمضي في الشارع كما تمضي حشرة صغيرة تدور دورات حول نفسها وتصدر صوتاً يصم الآذان/ لماذا تبدو دائماً في هذه الهيئة؟ هيئة القاتل المائكي وهو يستعد لقبض الأرواح وإطلاقها في عالم لا نعرفه/ قد لا تكون فيه أنت عظيماً بل مجرد رنة خشنة لأقدام أرواح تحتضر بلا انقطاع في السلام السماوي». يسأل الشاعر الشعر لا بغرض الاستفهام عن موقعه من الحياة، بل متسائلاً عن معنى الحياة بدونه. ترجم يماني أيضاً بيتاً شعرياً لبوراس يقول فيه: «في الشعر وحده/ نجد حياتي ملجأ/ حيث تلتئم الجروح التي أنتجها بنفسي». وربما هذا أفضل معنى للشعر، أن يصبح البيت والعش والمكان الذي وصفه باشلار في «جماليات المكان» (ترجمة غالب هلسا) هو القصيدة. ثم في النهاية يكتب قصيدة بعنوان «الوداع» موضحاً مغزى الكتابة نفسها. يوضح المغزى قائلاً: «كان الوداع مهيباً، جليلاً، عظيماً، ناشباً نفسه في التاريخ القصير، ومؤكداً على جدية الأمر. كانت الكلمات شعراً طويلاً وقبلة أولى/ كان الوداع تفكيراً فيما لا تريد/ التركيز على ما لا تريد»، ليركز الشاعر على ما لم يرده ويحكي أهوال رحلة الوداع التي كشف نفسه عبرها. وكانت الكلمات كلها شعراً ربما دليلاً على أن ما يتصفى من تجربة حياة الشاعر الحقيقي هو الشعر، الشعر الذي هو الأدب كُلّه.

ينتمي إلى جيل «قصيدة النثر التسعينية»

يشتد الخيط في بعض الأحيان إلى أن يئن الحنين ويعود الشاعر إلى منزل حبيبته. يكتب يماني «القديس الذي لم يُوجد أبداً» كما يلقبه يوسف رخا، يكتب واصفاً حنينه: «سوف أراك في منزل صغير بحديقة صغيرة، محاط بأسوار عالية وسوف أمر من أمام المنزل وفجأة أندفع إلى الداخل ولا أجد إلا إطارات لوحات صغيرة ملقاة على الأرض والتراب يكسو كل شيء، لكن ما إن أخرج حتى أرى المنزل مضاء وأنت من وراء الستارة تجولين في الغرف، أحاول الاندفاع من جديد، لكنّ ستاراً خفياً يصيبني بالغثيان، فأرجع للشارع وأعاود الاندفاع للداخل في اليوم التالي ولا أجد سوى إطارات اللوحات يعلوها التراب. لم أفهم أبداً تلك اللعبة». في هذا الجزء من القصيدة، يصوّر يماني ما قاله غاستون باشلار في «جماليات المكان»: «البيت هو ركننا في العالم. إنه، كما قيل مراراً، كوننا الأول، كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى. وإذا طالعنا بالغة، فسيبدو أباس بيت جميلاً».

يجبر الديوان القارئ على ما وصفه هنري ميللر في «ثلاثية الصلب الوردي» (ترجمة أسامة منزلجي)، يقول ميللر: «وإذا كنت أقرأ كتاباً وتصادف أني وقعت على فقرة رائعة أغلق الكتاب على الفور وأخرج لأتمشى، المسألة ليست التعرف على روح شقيقة، بل هي مسألة التعرف على ذاتك، أن تقف وجهاً لوجه مع ذاتك، إنك بإغلاقك الكتاب تواصل عملية الخلق». وربما هذا ما فعله «القديس» بنصل سكين الحنين، وضعك أمام ذاتك بلا أي جدار مانع يمنعك من التعرف عليها، منحك عملية خلق جديدة لذاتك.

رواية

غنوة فضة: «أرض الأرجوان» والعنف والموت

دعد ديب

الإنسان في مرمى الموت، إنسان منطقة شرق المتوسط كان وما زال. هذه هي الحقيقة التي يشي بها غلاف رواية «أرض الأرجوان» (دار فواصل ـ 2022) لغنوة فضة، حيث البقعة الحمراء بقعة التصويب وشارة الاستهداف على التاريخ وعلى الجسد كعتبة نصية ولجت بعده إلى استهلالة أخرى، بدت كرسالة وداع أو وصية شخص ما قبل موته إلى زوجته التي لم تكن، ولم تعطهما الحياة فرصة ليكونا معاً.

تدخلنا الكاتبة السورية بعدها إلى حكاية قديمة حصلت في راميتا في عام 299 ق. م. حكاية حصلت في أرض «أرض الأرجوان» الاسم الذي عنونت به نصها، ليقود القارئ للتساؤل عن ماهية هذي الأرض وكنهها، ما يثير تساؤله ويدفعه إلى معرفة حقيقة وجودها ومكانها. نُعرف الحكاية التي أسهبت الكاتبة في وصف الطريقة الرومانسية لقصة حب بين جايون وأماليا وأسلوب تعارفهما. الجميلة تاهت في الغابة لتلتقي بصياد شاب ينقذها من الضياع، هو الصياد جايون الذي يعرفنا على الأرجوان، فالأرجوان هو اللون المستخرج من نوع معين من الأصداف كان يصطادها الصيادون في تلك المنطقة، ليلونوا بها الأقمشة والصادرات الأخرى كعلامة تُعرف بها حرف المكان. وهو إلى ذلك شهد مأساة مجزرة قتل أهله أمام عينيه، لذا بقي حارساً للّقى الأثرية والأحفورات القديمة والآثار التي تحكي موروثه الثقافي وتاريخه.

عبر نمو العشق هذه، تسرد صاحبة «شجرة الكليمونتين» تاريخ المنطقة في ذلك الزمن الغابر من أيام الملك سلوقس الأول/ نيكاتور/ أي المنتصر، أحد قادة الإسكندر المقدوني ومؤسس الأسرة السلوقية التي حكمت في ذلك الزمن، وحكم ابنه أنتيوخوس من بعده، حيث الحروب الدائرة والمعارك الحامية الوطيس جعلت المنطقة مكاناً يجمع أخلاطاً من الخلق والأمم والقوميات والأجناس المختلفة. أقوام جاء بعضها مع الغزو، وبعضها الآخر بالتهجير والترحال. كلها سكنت المنطقة واختلطت الأعراق والأجناس وأثار وترجمات للغة قديمة مكتوبة. يتقصى التاريخ من خلالها ويطل على الحاضر.

لقد نجحت الكاتبة في خلق رواية متشابكة الأحداث والأزمان ومحورية الهدف، مسرحها ضفاف المتوسط. امتدت خيوطها لتصف تاريخ الحرب والسيطرة الآتي من عمق التاريخ وحتى وقتنا الحاضر. تؤرخ للعنف الذي يجتاح المكان ويهدم الحضارة والعمران في تشابه الشخصيات وتشابك أقدارها. فكما كان لجايون أحفورات ونفائس ومقتنيات أثرية، كان لإبراهيم ناصيف خبايا وخفايا ومقتنيات مهدية من قبل جهلة لا يفقهون معنى الأثر ولا قيمة الحضارة الإنسانية. ينتهي جايون الثائر لمصرع أهله بالإعدام بعد تهمة حاكها له أعداؤه، كما ينتهي ابراهيم على يد الجماعات المتشددة التي ارتدت لبوس الدين وهي منه براء. لعلّ مصرعه يشبه مصرع الأثاري الشهير خالد الأسعد الذي قضى وهو يحمي آثار تدمر في التاريخ القريب على مرأى من العالم المتحضر، لتشهد مصرع الإنسان على مذبح الجهل والعدالة الغائبة والحرب بكل قسوتها ومخازيها.

ظهرت اللوحات الأخرى المكملة للمشهدية العامة للرواية مثل قصة الراعي وقصة المجند، ورفيقه بائع الكتب المستعملة والطبيب الذي يشتغل ضمن آلة الحرب في الإتجار بالأعضاء البشرية ويكسب أموالاً طائلة... كلها مواقيفات شكلت عمارة العمل، مستفيدة من تقنية تعدد الأصوات السردية إذ تنفح كل حكاية من حكاياتها أن تكون قصة قصيرة قائمة بذاتها، لكنّ الكاتبة ربطت في ما بينها بذكاء، وحمّلت عملها طبقات تبرز من طبقات. استحضار الكاتبة لحكايات من زمن غابر بدا كأنه استدعاء لحكايات «ألف ليلة وليلة»، خصوصاً في تقنية حكاية ضمن حكاية فإبراهيم يكتب عن قصة حصلت منذ عقود ما قبل الميلاد؛ وقصة إبراهيم يقرؤها مجند حصل عليها مصادفة من جهة، وتروبها أمية من جهة ثانية في وقتنا الحاضر.

استفادت من تقنية تعدد الأصوات السردية

سيطر الوصف الخارجي للأمكنة والطبيعة والبشر على حساب الغوص في دواخل الشخصيات ورصد متغيراتها بغية وضع القارئ في الجو التاريخي لاستحضار قصة من غابر الزمن وربطها بالحاضر. اعتمدت الكاتبة إلى حد ما الرسم الأحادي للشخصية أو الصفات النمطية الواحدة حيث الشخصية خيرة من البداية إلى النهاية أو العكس. حبذا لو أشارت إلى ما يفعله العنف من تشوه في البنى النفسية للبشر وما تولده الرغبة بالانتقام من تحول في مفاهيم النبالة والطيبة والاستقامة، إذ يفترض بالشخصية النمو والتحول وسط الضغوط والمتغيرات الطارئة عليها، لكننا لم نلحظ دخولاً في عوالم الشخصيات ورصد تناقضاتها مع ذاتها ومع المحيط وتناقش الأفكار وتمترس البشر وراء أوهام بعيدة عن مصالحهم. نعم هي رفضت الحرب وأظهرت آثارها المدمرة على البشر والحجر، لكن حبذا لو دخلت وكشفت عن محركات السلوك والدوافع لارتكابات الشخصيات العنفية، ما كان ليخلق إقناعاً أكبر لدى القارئ. ولعلّ الكاتبة استدركت ذلك عبر شخصية الطبيب، وهي الوحيدة التي طرأت عليها المتغيرات. وظّفت الكاتبة العمق التاريخي لمنطقة الساحل السوري، فالشخوص اليوم هم أحفاد أولئك، والحرب تتكرر بلبوس أخرى. الحرب تطلق عنفاً فالتاً من عقاله، لا يميز بين مرتكب وبريء، ويصادر حياة كانت منذورة للعشق والشموس، ويخنق أحلام الصغيرة بعيش هانئ وسلام... لتكون الرواية صرخة واحتجاجاً بوجه العنف أينما كان في أي زمان.

أنانكي أشاف ــ «تحوّلات: السرّ يجب أن يُكشف» (2011)

حول حبكة التوراة

زكريا محمد *

لست من المقتنعين بمحاولات دحض التوراة، ودحض روايتها. فليس من حاجة أصلاً لهذا الدحض. التوراة جزء أصيل من إرثنا الثقافي. أي أنها ملك لنا، وملك لتاريخنا. ويجب التأكيد على هذا، لأن نهوض الحركة الاستعمارية الصهيونية، ووليدتها إسرائيل، أدى إلى قدر من التشوّه في علاقتنا بتاريخنا. فلأن هذه الحركة الاستعمارية العنصرية تربط نفسها بجزء من تاريخنا، الذي هو الديانة اليهودية، فقد بدا كأن هذا الجزء صار خصماً لنا. وانتهى بنا ذلك إلى أن سلّمنا ـ وبشكل ما ـ للعدوّ بأنه هو من يملك هذا الجزء من تاريخنا بالفعل. وهذا يعني أنّ جزءاً من تاريخنا صار غريباً عنّا، ولا يخصّنا. وانطلاقاً من ذلك، أصبح ليبرمان ونتنياهو وريثين لجزء من تاريخنا على الأقل. وهذا أمر خطر جداً في الحقيقة. فتسليم التاريخ للعدو، يحمل في طياته تسليماً ما للحاضر والمستقبل بشكل ما. وهو ما يفرض علينا وضع الأمور في نصابها الصحيح. فالديانة اليهودية، مثلها مثل الديانة المسيحية، بعض من تاريخنا وتراثنا الفلسطيني والعربي. والتوراة مثلها مثل الأناجيل نتاج أرضنا، وعلامة من علامات تاريخنا. أي أنه يجب التغلب على التشوه الذي حصل في علاقتنا مع قسم من تاريخنا وثقافتنا، واستعادة هذا التاريخ من خلال معالجته وفهمه. وهذا يعني الذهاب من قبلنا إلى الديانة اليهودية من أجل فهمها، وفهم كيف تشكلتْ، ولا شيء غير ذلك. لكن على أرضية أنّ التوراة، برواية دينية عقائدية لمسار هذه الديانة، ومسار تشكلها، أي أنها كتاب دين أساساً، لا كتاب تاريخ، رغم وجود بعض العناصر التاريخية فيها.

والذهاب إلى التوراة سيوصل إلى أنها كتاب تحكّمت بصياغته ونسجه صراعات سياسية ودينية ضارية، الأمر الذي جعل من تأليفه وصياغته أمراً معقداً جداً، ومختلفاً بشدة عن صياغة الإنجيل والقرآن مثلاً.

وثمة عقبتان تعترضان فهمنا لكيفية تأليف التوراة:

الأولى: تتمثل بأن قاعدتها الأساسية وُضعت في العصر الفارسي، الذي لا نملك عنه إلا معلومات ضئيلة ومشتتة، بل إنه عصر يكاد يغرق في العتمة.

الثانية: وهي الأهم، فتتمثل في أن هناك حبكة ما، قصة ما، وراء التوراة، ووراء الصيغة التي وصلت بها إلينا. وما لم يجر الكشف عن هذه الحبكة المقصودة، فلن نتمكن من فهم هذا الكتاب، ولا فهم أي عنصر تاريخي يكمن في روايته. لقد صنع محرّرون محترفون هذه الحبكة، هذه التوليفة، وانطلاقاً من مصالح سياسية ودينية محددة، في لحظة تاريخية محددة. بالتالي، لا يمكن كشف هذه الحبكة إلا عبر الكشف عن هذه المصالح. وهذا يعني أنّ الأمر يجب أن يبدأ بالمصالح، بالسياسات التي فرضت وضع الحبكة، وتأليف التوراة على أساسها.

وبسبب الحبكة القصدية التي نتحدث عنها، فإن التوراة - أي الكتب الخمسة الأساسية في الكتاب المقدس - كتاب عنيد، لا يعطي ما عنده بسهولة. بل إنه في أحيان كثيرة جداً صيغ بالضبط لكي يخفي، لا لكي يضيءَ ويكشف. وهذا ما يجعل الحصول على الحقيقة منه عملية مرهقة جداً. فلا يجري الوصول إلى المعلومات الدينية، أو غير الدينية، فيه إلا عبر سلسلة طويلة من المناورات التي على الباحث أن يقوم بها. عليه، فالشك يجب أن يكون أداة مركزية من أدوات فهمنا للتوراة. يجب الشك في أنّ كل واقعة مركزية في هذا الكتاب قد حُرّرت، وعُدّلت، بل ربما قُلبت رأساً على عقب في أحيان كثيرة. أي أنّ الحقيقة قد تكون في الواقع عكس ما يقال لك. في كل خطوة، عليك أن تتوقع أن هناك من يريد أن يخدعك، من يريد أن يضلّلك. والأمر لا يتعلق هنا بالأخلاق، بل يتعلق بالمصالح. فالتوراة كما وصلتنا تعكس مصالح محددة. وهذه المصالح هي التي فرضت صياغتها بالشكل الذي نراه، أي فرضت الخدع والكمائن المتتابعة التي تصادفك وأنت تحاول فهمها.

والحقيقة أنّ الباحثين كانوا منذ القرن التاسع عشر يحسّون بوجود حبكة ما وراء التوراة، لكنهم لا يدركون عمقها وعمق قصديّتها. لذلك، فقد بدا لهم أن الأمر يتعلق بالمصادر واختلافها. فلدينا مصدر يهويّ، ومصدر إيلوهيمي، ومصدر كهانيّ. وقد جرى نسج التوراة من هذه المصادر المختلفة، وهذا هو جذر

> التوراة حرب أهلية داخلية بين نصين، تقليدين، تاريخين دينيين مختلفين، وشرعتين متعاكستين

تضارب الأخبار والروايات والصيغ، أي أن الاضطرابات والتناقضات نتجت- بناءً على هذا الرأي- عن تنوع المصادر، وحصلت رغم جهود المحرّرين لتنسيق المواد المختلفة، وتوحيدها. وهو ما يفترض أن تدخل المحرّرين في المضامين كان في حدوده الدنيا، وأنه كان موجهاً نحو مصالحة التقاليد المختلفة والمتناقضة. والحقيقة أنّ الأمر أبعد من ذلك بكثير، وأعقد. صحيح أنّ التوراة صيغت من مواد مختلفة، أتت من مصادر متنوعة. غير أنه كانت هناك دوماً فكرة حاكمة، فكرة مشرفة، تتحكم بصياغة المصادر، ونسجها، وترتيبها. وهي فكرة مدركة، تحذف وتقصي، تضيف وترمي، تظهر وتخفي، وانطلاقاً من حسابات محددة، ومصالح محددة. هذه الحسابات وهذه المصالح ظلت غائبة عن الغالبية الساحقة من الباحثين الغربيين، وغائبة عن وعيهم. والسبب هو الإيمان العميق، ذو الجذور الدينية بلا شك، بأن التوراة انبثقت من وحدة ما أصلية، وأنها تعكس هذه الوحدة، لا أنها فرضتها فرضاً.

غير أنّ الحقيقة هي أن التوراة نُسجت من تقليدين اثنين، تقليدين متعارضين متعاكسين. وكان هدف محرّريها الانتصار لتقليد على تقليد، إخضاع تقليد لتقليد، وقمع تقليد لصالح تقليد. أما التقليدان فهما: تقليد يهودا، وتقليد إسرائيل، أو تقليد بني يهودا، وتقليد بني إسرائيل. والاحتمال الأغلب أن التقليد المركزي المكتوب الذي كان بين أيدي محرّري سلطة يهودا في منطقة القدس، كان في الأساس تقليد إسرائيل، لا تقليد يهودا. فلم تكن يهودا، في ما يبدو، تملك تقاليد دينية مكتوبة راسخة. وقد اشتغل محررو التوراة على التقليد الإسرائيلي الذي وقع بين أيديهم. حرروه بشدة، وأرغموه على أن يتوافق بشكل ما مع تقليد يهودا وسلطتها. بذا، فكتب التوراة الخمسة خرجت من ورشة محرري سلطة يهودا على غير الشكل الذي دخلت فيه إلى الورشة. وما لم ندرك هذا، فلن يكون ممكناً لنا فهم التوراة، ولا فهم الديانة اليهودية.

من أجل هذا، ربما كان علينا، في أحيان كثيرة، افتراض أنّ الحقيقة هي بالضبط عكس ما تقوله لنا أسفار التوراة وإصحاحاتها، أي أن علينا قلب الرواية إن أردنا الحصول على الحقيقة. وبما أن عملية التحرير، أي إعادة صياغة التقاليد بناء على ما يجري على الأرض - وما كان يجري كان انتصار يهودا على إسرائيل- فقد كانت هذه العملية معقدة وطويلة جداً، ومرت في ما يبدو بمراحل مختلفة. فقد كان يُمسك بتقليد، ثم يجري تحريره، لكن النتيجة تكون غير ملائمة تماماً. ذلك أنّ النص الأصلي يظلّ هناك مهما حرّرته، يظل يقول شيئاً من قصته كما أرادها مهما قمعته، أي يظل عصيّاً على التطويع. لذلك كان يجري في كثير من الأحيان إعادة كتابة نسخة جديدة من السفر، أو القصة. أي أنّ التحرير كان يبدأ من جديد من نقطة الصفر، وبما يتيح حرية أكبر للتعديل عبر الحذف والإضافة.

وبسبب هذا نشأت ظاهرة الـ «تثنيات»، أي الأسفار المزدوجة، في التوراة. فسفر «التثنية» كان «تثنية» على نص آخر، أي صياغة ثانية لنصّ قديم معروف. يؤيد هذا أنّ الملك يوشيّا ادعى أنه اكتشف نسخة أصلية من الشريعة تخالف النسخة الموجودة. ويعتقد أن هذه النسخة هي «سفر التثنية» ذاته. وهو ما يعني، عملياً، أنه ألّف نسخة ثانية مختلفة من السفر نفسه قالت أشياء ليست موجودة في السفر المتداول وقتها. كما أن سفر الملوك كانت له «تثنية» ما أيضاً هي سفر «الملوك الثاني». وكذا الأمر في ما يخص «أخبار الأيام» و«صمويل». فهناك «أخبار أيام ثان»، و«صمويل ثان». التثنية، إذاً، تكمن في جوهر التوراة ككتاب. وحتى حين لا يكون هناك «سِفر ثان»، فإنه يمكن اعتبار التكرار والإعادة داخل بعض الأسفار نوعاً من «التثنية»، نوعاً من الكتاب «الثاني». وبسبب هذه التثنيات، تضخّمت نصوص الشريعة، وتضخّمت التوراة.

التوراة، إذاً، نص مزدوج. نصّ فوق نصّ. تقليد فوق تقليد. التوراة حرب أهلية داخلية بين: نصين، تقليدين، تاريخين دينيين مختلفين، وشرعتين متعاكستين. التوراة نص منشق على ذاته. والديانة اليهودية بنيت على انشقاق داخلي بين الثنائيات التي تتكاثر: يهودا وإسرائيل، جبل الهيكل وجبل جرزيم، يعقوب وإسرائيل، الصغير والكبير، الشمال والجنوب، الهارونيون واللاويون. ولهذا تضخم كهنوت هذه الديانة، وتضخّمت شرائعها.

فهم هذه الثنائيات المتضاربة، وفهم الأرض السياسية الواقعية التي انبثقت منها، هو السبيل لفهم التوراة، وفهم مسار تكوّن الديانة اليهودية التي نعرفها، والتي وُلدتْ عملياً في العصر الفارسي حسب اعتقادي واعتقاد كثيرين. لكن يبدو أنّ فهم التوراة انطلاقاً من هذه الأسس أمر غير ممكن بالنسبة إلى غالبية الباحثين الغربيين. فهُم، من جهة أولى، مقيدون بالإيمان الديني الذي يطوّقهم من كل ناحية، ويفرض عليهم حدوداً يصعب تجاوزها. كما أنهم، من جهة ثانية، محكومون بالتمويل الذي يأتي بغالبيته الساحقة من مؤسسات دينية. وهذا التمويل يفرض عليهم شروطاً أشد وأقسى من شروط الإيمان. فهو يمسك بلقمة خبزهم. ومن الصعب على المرء أن يتجاوز حدود من يمسكون بلقمة عيشه.

بذا يفترض بنا ألا ننتظر هؤلاء حين يتعلق الأمر بدراسة التوراة، وبدراسة تشكّل اليهودية في فلسطين. المهمة ملقاة على أكتافنا نحن. لن يقوم بها بالشكل المطلوب غيرنا.

* شاعر فلسطيني

Samedi 13 Août 2022 no29
السبت 13 آب 2022 العدد التاسع والعشرون

القوس

www.alqaous.com

12 صفحة

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

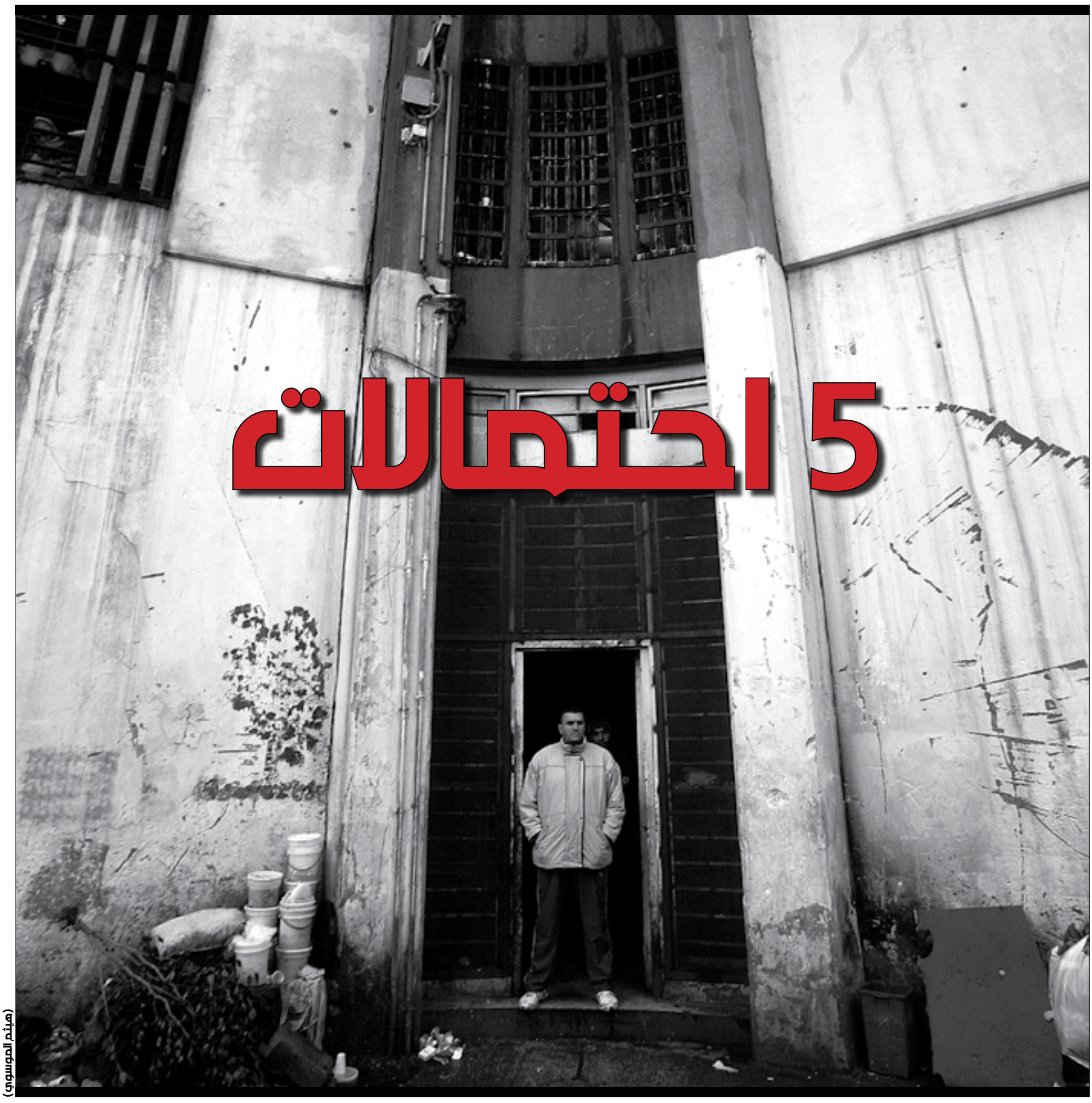

15 احتمالات

(هيثم الموسوي)

كتاب يأخذنا
إلى «ذاك المكان»
5-4

السجن النموذجي فرصة
لتصحيح السلوك الجنائي
7-6

قتل الأطفال...
اختصاص إسرائيلي
أونلاين

قاووش

عمر نشابة، احمد مدلج

آلاف المحتجزين يعانون في عهدة الدولة
السجناء أمام 5 احتمالات

كيف يمكن ان تتطور الاوضاع في السجون؟ الازمات الاقتصادية والمعيشية والسياسية والصحية تتفاقم، وتتفاقم معها ازمة السجون حيث تحشر الدولة آلاف الاشخاص ممن تعجز إدارة السجون عن تامين الشروط الاساسية للحفاظ على الحد الادنى من كرامتهم الإنسانية. السجين المدان بارتكاب جرائم، كما الموقوف قيد المحاكمة، في عهدة الدولة المسؤولة عن سلامة كل منهما وصحته. فهي مكلفة قضائياً بإصلاح سلوك المحكوم من خلال احتجازه في سجون يفترض ان تساهم في خفض معدلات الجريمة، فيما الموقوف يُفترض عدّه بريئاً حتى تثبت ادانته امام المحكمة عملاً بمبدأ قرينة البراءة. آلاف الموقوفين والمحكومين الذين تحشرهم الدولة اليوم في السجون يواجهون ظروفاً صعبة (راجع الاخبار 22 تموز 2022). القلق والخوف والغضب يدفع ببعضهم الى الصراخ والدعوة الى العصيان، وقد يدفع بعضاً آخر الى الانتحار، بينما قد يلجأ آخرون الى محاولة الهرب. اما حراس السجون فوضع معظمهم لا يقل سوءاً عن السجناء، بعدما بات راتب الحارس لا يكفي لتلبية ابسط حاجاته وحاجات عائلته. ونعرض في ما ياتي خمسة احتمالات مقلقة ... بعد دراسة اوضاع السجون واستطلاع مواقف بعض السجناء وذويهم والقوى الامنية

تحتجز الدولة في سجونها حالياً نحو ثمانية آلاف شخص. 21 في المئة من هؤلاء محكومون بقضون عقوبتهم السجنية، فيما لم تصدر الاحكام القضائية بحق 79 في المئة من السجناء، بعضهم محكومون في قضايا جنائية وموقوفون في قضايا أخرى ما زالت قيد المتابعة القضائية ولم يصدر الحكم النهائي فيها بعد. لا تتناسب أوضاع السجون في لبنان مع القواعد النموذجية الدنيا لمعاملة السجناء (قواعد نلسون مانديلا). «لا أكل ولا شرب ولا مي ولا دوا، وما في حدا يساعدنا» يقول أحد الموقوفين في السجن المركزي في رومية حيث تحشر الدولة نحو 3500 سجين. «ما بقى فينا نتحمّل. نحنا متروكين لحالنا. حتى أهالينا ما عم نشوفهم من شهور. تعبنا حكي. شو الحل؟».

يقول أحد السجناء عبر الهاتف. أحد المحكومين في سجن القبة (طرابلس) أكّد بدوره أن الأوضاع لم تعد تحتمل، مشيراً إلى أنه ناقش مع بعض زملائه في إعلان العصيان والتمرد.

يشكو معظم السجناء اكتظاظ السجون وفقدان عدد من الأدوية ونقص المواد الغذائية وانقطاع المياه غالباً وارتفاع درجات الحرارة داخل الزنازين، إضافة إلى عدم قدرتهم على الاتصال بذويهم أو رؤية عائلاتهم بسبب ارتفاع كلفة المواصلات. وهي المشكلات ذاتها منذ بداية عام 2022 لكن تفاقمها يرفع مستوى الضغوط في السجون وقد يؤدي الى حوادث خطيرة وقاتلة.

احتمالات مقلقة

ثمانية آلاف سجين في لبنان امام خمسة احتمالات في ظل أزمة السجون:

> «كب الحرام» ورشوة الضباط والعساكر أساليب غير قانونية للحصول على امتيازات في السجن

1. التمرد والعصيان وأعمال الشغب

انتشرت فيديوات عبر مواقع التواصل الاجتماعي الأسبوع الفائت ظهر في بعضها سجناء غاضبين من مبنى المحكومين في رومية يتسلّقون باباً حديدياً ويحتجون على الإهمال الطبي وفقدان الأدوية وانخفاض كمية الطعام. وفي فيديو آخر ظهر سجناء في الساحة العامة يطالبون بتحسين ظروف السجن وبقانون عفو عام.

صحيح ان الاكتظاظ والعجز عن تأمين الخدمات الأساسية كالرعاية الطبية والاستشفائية لا يتناسب مع القانون، غير ان مرسوم تنظيم السجون ينص على معاقبة كل سجين يتمرّد من خلال منعه من الزيارة أو المخابرة الهاتفية ووضعه في السجن الانفرادي مثلاً (مادة 103 من مرسوم رقم 49/14310).

في كل حالة من حالات تجمع السجناء في باحات السجون والممرات للتعبير عن غضبهم، تدخلت القوى الأمنية ومعها فرقة مكافحة الشغب لوقف الاحتجاجات بالقوة، ووقعت إصابات طفيفة بين السجناء عاد بعدها الهدوء وأعيد السجناء الى القواويش. وقد شكا بعضهم من تعرضهم لضرب مبرح، علماً ان قانون تنظيم قوى الامن يمنع استخدام العنف الذي لا تقتضيه الضرورة (مادة 225 من قانون رقم 17). تكرار الاحتجاجات قد يتطور الى عصيان عنيف وأعمال شغب وصدامات تؤدي إلى إصابات بين السجناء والحراس. وفي ظل النقص الحاد في الموارد والخدمات الطبية والاستشفائية قد تزيد معاناة الجرحى وتتدهور صحتهم ويصعب علاجهم.

أحد ضباط قوى الامن العاملين في السجون أكد ان من واجباته التدخل لمكافحة أعمال الشغب أو العصيان التي يقوم بها بعض السجناء ولا يمكنه التساهل معها لأنها قد تتحول من صرخة احتجاج محدودة الى عصيان واسع يخرج عن السيطرة. وشدد على ان «لا مفر من المواجهة» التي تزيد الحساسية والتوتر بين السجناء والحرس. ورغم اعترافه بسوء الأوضاع، اعتبر أن «الانتفاضة ما بتحلّ شي ولا بتحسن شي، لا بل على العكس، الأمور بتروح من سيئ الى أسوأ».

2. محاولات فرار

فجر الاحد الفائت (7-8-2022)، تمكّن 31 موقوفاً من الفرار من النظارة التي تقع تحت جسر قصر عدل بيروت. وقد أوقفت قوى الامن عدداً منهم والعمل جار على تحديد أماكن الآخرين.

صحيح ان كل سجين يفكر بالهرب، لكن محاولات الفرار عموماً قليلة ونجاحها نادر. ويعلم السجناء ان محاولات الفرار تعرضهم لخطر الموت وأن احتمالات انكشافها عالية.

وقد وقعت عملية هروب مشابهة من نظارة مخفر قصر عدل بعبدا عام 2020، وتمكنت قوى الامن من اعادة توقيف 15 من أصل 69 سجيناً فاراً، فيما سلم 4 سجناء فارين انفسهم وقتل خمسة في حادث سير.

يساهم الوضع الاقتصادي المتدهور في تشجيع محاولات الفرار من عدة نواح: فعمليات الفرار تعتمد غالباً على تعامل احد الحراس أو الموظفين مع المخططين مقابل مبلغ من المال. وبما ان رواتب العسكريين باتت غير كافية لتغطية حاجاتهم الأساسية قد يكون بعضهم قابلاً للرشوة أو للابتزاز من قبل سجناء ومن يساندهم من خارج السجن.

من جهة أخرى، قد يعتقد بعض السجناء بأن القوى الامنية لم تعد تقوم بمهامها بالجدية المعهودة بسبب النقص الحاد في الموارد وانهيار قيمة رواتب الضباط والعناصر.

يذكر ان القانون يفرض عقوبات تأديبية وجزائية على كل سجين يحاول الفرار. ويمكن أن تصل مدة العقوبة السجنية الى سبع سنوات (المادة 425 من قانون العقوبات اللبناني). أما مرسوم تنظيم السجون فقد أتاح لعناصر قوى الامن اطلاق النار على السجناء الفارين بعد إنذارهم ثلاث مرات (المادة 99 من مرسوم رقم 49/14310).

نشير أخيراً الى ان السجين الذي يفكر بالفرار قد يتردد بسبب علمه بأن العيش في ظل ملاحقة مستمرة من قبل الضابطة العدلية والجيش وسائر مؤسسات الدولة والقلق المستمر والصعوبات المعيشية اليومية قد يكون أسوأ من معاناة انتظار انتهاء مدة العقوبة السجنية. لكن التردد قد لا يطول اذا استمرت ازمة السجون بالتفاقم.

(هيثم الموسوي)

3. الادمان و«حبوب الاعصاب»

نسبة السجناء الذين كانوا يتعاطون المخدرات قبل دخولهم السجن تزيد على 60 في المئة. ولا شك في ان معظم السجناء يسعون عموماً للحصول على أي نوع من أنواع المؤثرات العقلية بما في ذلك الكحول المصنعة في القواويش وبعض ادوية الاعصاب والمسكّنات، وصولا الى المواد الممنوعة التي تهرّب من خارج السجن. أما في زمن الازمات والضغط النفسي والخوف والقلق الشديد، فقد تصبح المؤثرات العقلية حاجة ملحة للعديد من السجناء للهروب من الواقع المرير والافق المسدود امامهم.

علماً أن بعض الحبوب المخدرة قد تزيد التوتر والخوف وربما تؤدي الى نوبات نفسية وحالات اكتئاب مرضية. ولا شك ان لاستخدام المخدرات آثاراً سلبية على المدى الطويل، منها الاصابة بأمراض القلب والجهاز الهضمي وتراجع القدرة على التركيز والحركة. التناول العشوائي لأدوية الأعصاب غالباً ما يسبب الإدمان ويمكن أن يؤدي إلى غيبوبة. كما أن الاستخدام غير المنتظم لأدوية الأعصاب يؤثر سلباً على معدل ضربات القلب ما يتسبب بموت فجائي.

ويشير سجناء إلى أنواع من المخدرات يتم تناولها في السجون مع أسعارها التقريبية (العملة التي يتم التعامل داخل القاووش هي التلكارت وسعر التلكارت الواحد 10,000 ليرة)، ومنها المورفين (مليونا ليرة للحبة)، باز أو كراك كوكايين crack cocaine (ثلاثة إلى أربعة ملايين ليرة للغرام الواحد)، ترامال tramal: (50 ألفاً للحبة)، بنزكسول benzhexol (50 ألفاً للحبة).

4. رشوة و«كب حرام»

«كلاب السجن» أو «كبّابين الحرام» هي العبارات التي يستخدمها السجناء لوصف زملاء لهم يعملون مخبرين لصالح القوى الامنية. غالباً ما ينقل هؤلاء اخباراً غير صحيحة للإيقاع بسجين أو لتجريده من مهمات الخادم أو الشاويش (السجين الذي تختاره إدارة السجن لأعمال النظافة أو الصيانة أو المطبخ أو الغسل أو المشغل أو حارساً على الأبواب الداخلية للسجن وللحفاظ على النظافة وإعداد الطعام مقابل بعض الامتيازات). «كب الحرام» ورشوة الضباط والعساكر وغيرها أساليب يعتمدها هؤلاء من أجل الحصول على بعض الامتيازات. وقد يختار بعض السجناء طريق الفساد و«كب الحرام» لتحسين ظروفهم.

يذكر ان مرسوم تنظيم السجون يمنع السجناء من إعطاء موظفي السجن أي شيء لدى دخولهم اليهم أو خروجهم منه (المادة 100). ولا تقتصر العقوبة على العسكري أو الضابط الذي قبل الرشوة، وإنما أيضاً على من أعطى الرشوة.

5. الانتحار وايذاء النفس

انتشرت الأسبوع الفائت مشاهد عبر مواقع التواصل الاجتماعي تظهر سجناء يهددون بالانتحار، ومنهم من أقدم على تشطيب يديه وبطنه. ويوضح المتخصص في الاضطرابات النفسية الدكتور ايلي غزال أن أسباب الإقدام على إيذاء النفس داخل السجون متعددة، منها عدم تحمل المعاناة النفسية وتفضيل الالم الجسدي سعياً للتغطية عليها، أو كنداء استغاثة من ظروف قاهرة يمرّ بها في السجن، أو انهيار نفسي جراء حرمانه من الحصول على حبوب أو مخدرات يدمن عليها (راجع «القوس» رقم 2 «التشطيب: سجون هدر الدم»).

ويتطلب الانتحار وايذاء النفس مساعدة طبيب أو أخصائي علوم نفسية لمساعدة السجين. فقتل النفس أو إيذاؤها في ظل ظروف صعبة يعاني منها كل أفراد المجتمع، ومع أزمة اقتصادية جعلت الدولة عاجزة عن تأمين الأساسيات لمن هم داخل السجن وخارجه، قد لا يحققان أياً من مطالب السجناء بتحسين ظروفهم.

تحت القوس

الا تستحق السجون اهتماماً اكبر؟

عمر نشابة

تكثر الأخبار عن توقيف القوى الأمنية أو العسكرية لصوصاً بالجرم المشهود، وعن القبض على مجموعة اشخاص يشكلون عصابة احتيال أو تزوير أو تجارة مخدرات ممنوعة. وتنتشر البيانات المنوّهة بالشرطة والجيش والداعية الى الاطمئنان بأن البلد ممسوك امنياً، وتؤكد أن قوى الامن لا تزال تقوم بواجباتها رغم النقص الحاد في الموارد والعديد وتدني قيمة رواتب العناصر والضباط.

لا شك في ان الأخبار التي تتناول القبض على «مجرمين» تُعَمَّم بشكل واسع وتتباهى الدولة بها. لكن، في المقابل، فإن الاخبار عن اطلاق اشخاص انتهت عقوبتهم السجنية لا تلقى اي اهتمام، لا في وسائل الاعلام ولا في مؤسسات الدولة. ولا توجد في لبنان إحصاءات دقيقة عن عدد السجناء السابقين الذين يكررون جرائمهم بعد اطلاقهم. فما من أحد يتنبه إلى ما يحلّ بالسجين السابق وإلى تأثير السنوات التي قضاها في السجن على سلوكه وعلى نشاطه الجنائي السابق.

بما ان الازمة الاقتصادية تتفاقم، وبما ان أوضاع السجون في لبنان تزيد سوءاً ولا يشارك الا عدد قليل من السجناء في برامج إعادة التأهيل والعلاج النفسي والعلاج من ادمان المخدرات والنشاطات التربوية والثقافية والرياضية، وبما ان الدولة لا تعدّ السجون من بين أولوياتها في ظل المشكلات المتفاقمة في القطاعات الأساسية، وبما ان الفساد ينتشر في كل المجالات في لبنان بما في ذلك السجون، وبما ان قوى الامن تعاني مشكلات عديدة ونقصاً حاداً في الموارد والعديد وليست مؤهلة مهنياً لإدارة السجون، فلا شك في ان لا اصلاح للسلوك الجنائي أو رادعاً له حالياً. ويتحول السجن من مؤسسة تعاقب من ارتكب جرماً الى مكان يساهم في تطوير اساليبه الجنائية من خلال اختلاطه بمجرمين محترفين خلف القضبان. ففي السجون تجذّر العصابات أعضاءها الجدد وتبنى الشبكات الاجرامية تمهيداً لإطلاق نشاطها المتجدد. وفي يوم اطلاق السجين، أي في اليوم الذي يفترض ان يكون مرتكب الجريمة قد اصلح أو ارتدع، سيبدأ الموسم الثاني أو الثالث أو الرابع من مسلسل الجريمة... وبكفاءة اكبر وقدرات أوسع ومعارف أكثر.

قاووش

زحلة ـ هيثم الموسوي

رومية ـ هيثم الموسوي

عالية ـ هيثم الموسوي

زغرتا ـ هيثم الموسوي

كتاب يأخذنا إلى «ذاك المكان»

■ تهاني نصار

لا شك أن الكتب والدراسات التي تتناول موضوع السجون في لبنان قليلة وغير متاحة للاطلاع عليها بسهولة، لما قد تحمله من حقائق خاصة في ما يتعلق بأوضاع المساجين، هذه الدراسات والأبحاث، إن وجدت، تترك في طرحها على سجن واحد كحالة دراسية، أو تقوم بتغطية إشكالية محدّدة في فضاء السجن مثل مظلومية المساجين، أو الوضع الصحي (أو النفسي) للمعتقلين، أو الإدارة والحراسة الأمنية. يأتي كتاب «ذاك المكان» (دار كتب للنشر 2015) للدكتور عمر نشابة، الأستاذ الأكاديمي المتخصص في العلوم الجنائية والقانوني الذي عمل في محكمة العدل الدولية، ليقدم دراسة علمية شاملة لثلاثة وعشرين سجناً للرجال والنساء في لبنان، قاربها بصورة تقاطعت فيها السياسة والإدارة والأمن والقضاء، كما حرص على أن يبقي بحثه المتخصص على درجة عالية من الانسانية.

قبل إهداء كتابه «إلى كل سجين في لبنان محروم من حقوقه الأساسية»، اختار نشابة أن يقتبس كلام نيلسون مانديلا: «يقال إن أحداً لن يعرف أمة حقاً حتى يدخل سجونها». هنا السؤال: لماذا سجونها مع أنّ الشائع هو مدارسها؟ وماذا يحمل وضع السجن من دلالات عن البلد الذي أنشاه وبديره؟

في كتابه «المراقبة والمعاقبة: ولادة السجن (1975)»، يعرض الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو للتحول اللافت في عملية معاقبة المحكوم عليه من القرن السادس عشر إلى أواخر القرن الثامن عشر. فبعدما كان العقاب عبارة عن استعراض علني يجري أمام حشود من العامة لتعذيب الجسد عبر وسائل إجرامية مثل الاستعانة بجلاد والسحق والحرق وتقطيع أجزاء من الجسد، أصبح في مطلع القرن التاسع عشر حضارياً. تعدّ ولادة السجن مرحلة تنويرية في تاريخ الشعوب. فقد أسقطت مهرجان التلذذ بألم المحكوم عليه والذي يهدف إلى إقصائه، وأبدلته بنظام يعزل المسجون ويبقيه تحت المراقبة بهدف اصلاحه وتقويم سلوكه وجعله «طيّعاً ومفيداً». فالجريمة تضرّ المجتمع بأكمله وليس فقط الجاني والمجني عليه، وبناءً على ذلك على السجن أن يكون جهازاً انضباطياً شاملاً يعزل السجين عن العالم الخارجي وعن كل ما دفعه لارتكاب جريمته. «السجن يتطلب أكثر بكثير من المدرسة» حسب فوكو، ففي السجن سلطة تفرض على السجين نمط سلوك جديد يضبط موقفه الأخلاقي ويعلّمه الانضباط، ويعزله عن المسببات التي أدت إلى ارتكابه الجريمة.

يحمل الكتاب (250 صفحة من القطع الكبير بطباعة مميّزة) في طياته خمسة أجزاء أساسية، إضافة إلى مقدمة لوزير الداخلية والبلديات السابق زياد بارود، وملحق من 35 صفحة بالمرسوم رقم 14310 عن تنظيم السجون وأمكنة التوقيف ومعهد إصلاح الأحداث وتربيتهم. يمكن اعتبار الكتاب أشبه بدليل صوري لما يتضمنه من صور بعدسة المصور هيثم الموسوي، تحتل حيزاً من كل فصل وتقول الكثير عن وضع سجون لبنان. يُلحظ في الكتاب تناغم عال بين المادة البحثية التي يقدمها نشابة وبين الصور التي التقطها الموسوي وتتنوع بين الملونة والأبيض والأسود. في مطلع الجزء الأول «أوضاع السجون في لبنان»، تمتد صورة عريضة بالأبيض والأسود على دفتي الكتاب، تشي بحالة السجون قبل عرض الحقائق والأرقام: عشرة مساجين ممددين على الأرض، على فرشات من الاسفنج الرقيق لا تتسع أجسادهم، في وسطهم شخص يطوي ذراعيه فوق بطنه متجنباً احتلال مساحة سنتيمترات قليلة عن كلا جانبيه. كوع يده اليمنى ترتاح على ساق مسجون يستلقي في اتجاه معاكس، بينما تضغط ذراعه اليسرى - لضيق المساحة - على معدة مسجون آخر. مشهدٌ يبدو كما لو أنّه غير حقيقي، صورةٌ كما لو أنها من كابوس لا من واقع حدث فعلياً، وجرى تصويره لتثبيتْ تلك اللحظة المؤلمة.

> كل مباني السجون في لبنان لا يمكن أن تستوعب أكثر من 2250 سجيناً وسجينة، فيما يُحشر فيها أكثر من 7000 نزيل

يعرض الباحث في هذا الفصل مجمل المخالفات الموجودة في السجون ومن ضمنها - فكرة الصورة - «الاكتظاظ الخانق». إذ إنّ «كل مباني السجون في لبنان لا يمكن أن تستوعب أكثر من 2250 سجيناً وسجينة، فيما يُحشر فيها أكثر من 4000 نزيل» (ص15). يدعّم نشابة كلامه بجدول السجون التي تخضع لسلطة وزير الداخلية وقدرة استيعابها؛ فيقارن بين عدد السجناء وقدرة استيعاب كل سجن حسب المعايير الدولية: تحوي بعض السجون ضعف قدرة استيعابها؛ فسجن النبطية، على سبيل المثال، يزج فيه 80 شخصاً عوضاً عن 40 حسب المعايير الدولية، وسجن طرابلس للرجال يضم 550 سجيناً بدل 250، وقد يصل العدد إلى ثلاثة أضعاف قدرة الاستيعاب كما هي الحال في سجن روميه المركزي (جبل لبنان) الذي يحشر فيه 3000 سجين، بينما قدرة استيعابه حسب المعايير الدولية 1050.

تعاني سجون لبنان الثلاثة والعشرون من مشكلات أساسية جمة تحول بينها وبين تحقيق غايتها التي شُيدت وأسست من أجلها. فكيف لسجون تعاني من نقص حاد في مياه الشرب والاغتسال، وفي عدد المراحيض، وقلة النظافة وانتشار الحشرات، وغياب تام للنشاطات التربوية والرياضية والتعليمية والبرامج العلاجية النفسية، أن تقوم باصلاح نفس المسجون وتضبط سلوكه وأخلاقه؟ كيف لسجون ليس فيها مشاغل ومعامل ليعمل فيها المعتقلون، أن تعلمهم كيفية تحصيل أجرهم بعرق جبينهم؟ يرى ميشيل فوكو أنّ «العمل الجزائي داخل الفضاء السجني يرسّخ حب العمل والالتزام به كما يعلّمه معنى كسب الأجر بعد التعب، وتوفير ماله والاقتصاد في الإنفاق». فعدم توفر هذه المشاغل يدفع السجين إلى سلوك غير مرجو مثل التامر والوشاية واستخدام قوته الجسدية على من هم اضعف منه لسلبهم ممتلكاتهم.

فوق كل هذا، هناك مشكلات إضافية تتعلق بالبنى التحتية وبطبيعة مباني السجون. فـ«باستثناء مباني السجن المركزي في رومية وسجن زحلة للرجال، كل مباني السجون الأخرى مصممة لتكون مراكز للشرطة أو مستودعات، أدخلت المديرية العامة لقوى الأمن الداخلي عليها تعديلات غير كافية لتحويلها إلى سجون لا تنطبق عليها المعايير الدولية». كما ان هذه المباني قديمة وبدائية، وبعضها لا تصل أشعة الشمس إلى ساحة النزهة فيه مثل سجون زغرتا، راشيا، حب جنين، صور، النبطية، جبيل، طرابلس. كثير من السجون تفتقر لوجود هواتف ثابتة تمكن المعتقل من التواصل مع عائلته، وليس هناك من مساحة تسمح له بأن يحضن أفراد عائلته عند زيارتهم له. في الإطار عينه، يأتي التقصير الأمني كذلك: فلا كاميرات مراقبة كافية، ولا بوابات متينة في سجون عدة، ولا أجهزة تفتيش مناسبة؛ ناهيك عن أنّ معظم السجون في المدن أو قريبة منها ومن التجمعات السكنية، الأمر الذي يعتبر مخالفاً لآلية اختيار موقع السجون.

يعرض الجزء الثاني («23 سجناً بالسوط والصورة») معلومات جمعها نشابة لدى زياراته للسجون بين عامي 2010 و2011. يفرد الباحث مساحة من المعلومات والصور تميز كل سجن عن غيره؛ فسجن صور مثلاً يعاني من «مشاكل بنيوية عديدة أبرزها قدم عهد بنائه الذي يعود إلى 300 سنة وعدم صلاحيته للبشر، إذ إنّه بُني أساساً كإسطبل للأحصنة» (ص40)، كما أنّه يعاني من ارتفاع نسبة الرطوبة لوقوعه على الواجهة البحرية، ومن خلل في نظام التهوئة يؤدي إلى مشاكل صحية بين السجناء والحراس. بينما سجن جزين تُستعمل الحمامات فيه «كغرف تخزين للطعام. ولا يتوفر مطبخ أو براد للسجناء» (ص44)، وسجن راشيا ليست فيه غرفة انتظار للزوار ولا هاتف يستعمله السجناء للتواصل مع ذويهم. وسجن زحلة للنساء لا طبيب صحة فيه رغم وجود سجينات حوامل. في هذا الفصل، صور كثيرة التقطت من داخل الزنازين توضح الوضع المزري لحال السجون، ولا تزال الصورة ابلغ تعبير حتى من الكلمات والأرقام الإحصائية والبيانات الدالة: فسجن بعلبك (ص74) هناك صورة لمسجون ينام أمام باب المرحاض بينما تظهر إحدى الصور في مبنى الأحداث في رومية (ص144) سجين يكتب ويطالع في مكان يبدو أنّه مكتبة المبنى.

> لا يكتفي الكاتب بعرض المشكلات كما هي، بل يقدّم توصيات لترميم السياسة العقابية في لبنان

يصر صاحب الكتاب على نقل الصورة كاملة عن أوضاع السجون؛ لهذا، في الفصل الثالث («قصص من ذاك المكان»؛ يدعم بحثه بنشر شهادات للسجناء تعتبر مساهمتهم الخاصة في هذا العمل، مع الحفاظ على ما قالوه/كتبوه «بحرفيته وبما ورد فيه من أخطاء»، باستثناء الشتائم التي تم حذفها والأسماء التي تم استبدالها باخرى مستعارة. يقول جورج، السجين في مبنى الأحداث في السجن المركزي في روميه، «بتحدى أي حدا من برا يجي ينام ليلة.. نحنا هون يا حبيبي منّام على الواقف.. وخود على روايح وقرف.. وجرب..». ويقول محمد من سجن زغرتا: «زي الحيوانات ويا محلى الحيوانات. كبونا تحت الأرض ونسيونا.. ودير راسك بهالقاووش.. هيدا قاتل هيدا محتال هيد ارهابي هيدا اغتصب بنتو.. يكوني بيناتهن وأنا كل اللي عملته غلطة زغيرة (توقيع شيك بلا رصيد)» (ص133).

من شهادات السجناء ينطلق الكاتب إلى الجزء الرابع («قواعد الحد الأدنى لمعاملة السجناء»، ويعرض فيه المواد القانونية والقواعد النموذجية الدنيا لمعاملة السجناء. هذه القواعد تحدد شروطاً معينة لإماكن الاحتجاز، من حيث عدد السجناء، ونقلهم تخفيفاً للازدحام، وتأمين التهوئة والإنارة، ومستلزمات النظافة الشخصية، وتوفير الطعام، منحهم نزهة يومية تحت الرقابة، وتأمين الخدمات الطبية، بالاضافة إلى فرض نظام الأمن وحظر العقوبات اللاإنسانية. ثم يختم الباحث مع الفصل الخامس «إدارة السجون ليست وظيفة البوليس» ليقول إن مشاكل السجون في لبنان لا تقتصر فقط على كل ما ذكر من نواقص ومخالفات وتقصير، بل «المشكلة الأساس تكمن في غياب السياسة العقابية في النظام اللبناني» (ص184).

الجدير بالذكر أنّ نشابة لا يكتفي بعرض المشكلات كما هي، بل يجهد في تقديم توصيات من شأنها أن تطور وتقوّم وترمّم السياسة العقابية في لبنان.

«ذاك المكان» دراسة ميدانية متخصصة عن أوضاع السجون في لبنان، تطرح شرحاً وافياً لحال السجون وتفرد مساحة لعرض مشاكل كل سجن على امتداد الأراضي اللبنانية. «ذاك المكان» الذي يتم التعتيم عليه مثلما يفعل الناس عند الحديث عن مرض السرطان بوصفه «ذاك المرض»، معتبرين أنّ عدم تسميته يبعده عنهم، إرتأى نشابة أن يأخذنا إليه عبر الأرقام والحقائق والمواد القانونية والصور، ليرينا «ذاك المكان» الذي أنشئ لحماية المجتمع، لكنه بحسب ما وجدنا فيه من تقصير بحقوق المساجين الأساسية، قد لا يدحض الجريمة بل ينتجها ويحث على استمرارها.

طرابلس ـ هيثم الموسوي

النبطية ـ هيثم الموسوي

زغرتا ـ هيثم الموسوي

قاووش

السجون الافضل والاكثر فاعلية هي، في المبدأ، تلك التي تلبّي الاحتياجات الاساسية للسجناء والموظفين في ما يتعلق بالسلامة والامن والإدارة الفعالة. في لبنان، تفتقر السجون إلى ابسط خصائص التصميم المعماري والحدّ الادنى من الخصائص التشغيلية الضرورية للوصول إلى سجن آمن وانساني. يستعرض هذا المقال الاسس العلمية المعمارية لبناء سجن نموذجي ينضفّ تامين الامن والسلامة للسجناء والعاملين في نظام العدالة الجنائية، ويأخذ في الاعتبار تامين المساحات المخصصة لإعادة تاهيل السجناء ودمجهم في المجتمع بما يحقق تصحيح سلوكهم الجنائي

السجن النموذجي فرصة لتصحيح السلوك الجنائي

■ خالد حمزة، جنان الخطيب

غالبًا ما تواجه السجون المبنيّة من دون تصميم مسبق مشاكل بعد فتحها. قد يكون المرفق صغيرًا جدًا وسرعان ما يصبح مزدحمًا، وربما يفتقر إلى ميزات تصميمية مهمة، كالقدرة على رؤية مناطق معيشة النزلاء من نقطة تحكم واحدة، أو التحرك بسهولة عبر المبنى. الى ذلك، قد لا تسمح المنشأة بالمتطلبات المناسبة لتصنيف النزلاء وفصلهم، وقد تكون مساحات إعادة التأهيل غير كافية أو مفقودة تمامًا، وربما يفتقر المبنى إلى معدّات مهمة أو مناطق وظيفية، او يتضمّن اثاثاً ومعدات عرضة للتآكل والكسر. لذلك، هناك ضرورة كبيرة إلى تخطيط مسبق للسجون يجيب على عدد من الأسئلة المهمة، مثل:

- كم سرير يجب أن يضم السجن وما هو عدد النزلاء الذين سيحتجزون فيه عند فتحه وفي المستقبل؟
- عدد النزلاء الذين ينبغي فصلهم عن الآخرين وأنواعهم؟
- كيف يتم الإشراف على النزلاء؟
- كيف يجب أن يرتبط السجن بوظائف العدالة الجنائية الأخرى، كالمحاكم مثلاً؟
- ما هي البرامج والخدمات التي يقدمها السجن وإلى أي مدى؟
- ما هو عدد الموظفين المطلوب؟
- ما هي أحجام المساحات التي يجب أن تكون في السجن؟
- كم تبلغ كلفة بناء السجن وتشغيله؟

اعتبارات البناء الرئيسية

بمجرد تحديد سعة السجن، يمكن الوصول إلى استنتاجات معقولة حول الحجم العام للمبنى واتخاذ قرارات أساسية في ما يتعلق بعدد من الاعتبارات الرئيسية ذات الصلة بتصميم السجن:

- تحديد مستوى الإشغال المناسب: خلية الإشغال الفردي، خلية الإشغال المزدوج، خلية الإشغال المتعدد.
- تحديد الطريقة (الطرق) التي يتم من خلالها مراقبة / الإشراف على النزلاء في مناطق السكن.
- تحديد نطاق الوظائف غير السكنية التي يجب أن تكون مدعومة بالمساحة، مثل الخدمات الطبية، والبرامج، والإدارة، وغيرها.
- تحديد درجة التوسع المطلوب استيعابها في المستقبل.

موقع السجن

يعد الاختيار الدقيق للموقع من أكثر الأمور أهمية لتطوير منشأة ناجحة، اذ ان موقع السجن يؤثر على عملياته، والوصول إلى المكونات الأخرى لنظام العدالة الجنائية، وراحة الموظفين والزوار لسنوات مقبلة.

■ حجم الموقع: يؤثر حجم الموقع بشكل كبير على التصميم. تتالف العناصر الإنشائية وغير الإنشائية من مساحة الطابق الأرضي للمبنى، المناطق الأخرى اللازمة للتوسع، ومواقف السيارات، والوصول إلى الطريق العام، والأنشطة الخارجية، والمخازن والحدائق والمساحات الخضراء وغيرها.

عند تحديد مساحة الموقع المطلوب، يفترض مراعاة الحاجة المحتملة للتوسع المستقبلي في مجالات عدة كالسعة السريرية، ومنطقة برامج الدعم وغيرها.

■ مساحات خارجية

المناطق الخارجية الرئيسية اللازمة للسجن هي كما يأتي:

- منطقة (مناطق) تمارين النزلاء يمكن أن تكون محاطة بسور أو مسيجة.
- مخرج الطوارئ وهي منطقة خارجية خاضعة للرقابة لإجلاء النزلاء مؤقتًا في حالة الطوارئ.
- منطقة خارجية لزيارة للنزلاء ذوي الحد الأدنى من الأمن، قد تتضمن مقاعد.
- مزرعة أو منطقة حديقة، إذا كان المرفق يزرع بعضًا من طعامه أو لديه برنامج عمل للنزيل.
- منطقة المناظر الطبيعية العامة لأغراض جمالية وخلق الحواجز بين المبنى والعالم الخارجي.

■ الوصول إلى الموقع والمرفق

ستكون هناك حاجة إلى مساحات من أجل مسارات الوصول إلى المبنى والخدمات. تشمل الأشكال الرئيسية للدخول التي من المفترض توفيرها ما يأتي:

- تسليم المحتجزين ونقلهم.
- تقديم خدمات الطعام والتي قد تشمل شاحنات نصف مقطورة.
- تسليم الإمدادات والذي قد يتطلب أيضًا مساحة لشاحنات نصف مقطورة.
- إزالة القمامة.
- حالات الطوارئ، بما في ذلك الطبية والحرائق، والتي قد تتطلب مساحة لتجميع المركبات الكبيرة.
- اعمال الصيانة.

■ عناصر الدعم

قد تكون هناك حاجة إلى مساحة أرضية من أجل:

- هوائيات الراديو.
- خزانات المحروقات.
- المرافق (مثل المحولات ومعالجة مياه الصرف الصحي).
- مكب نفايات.
- مباني التخزين.

موقف سيارات

مواقف السيارات للسجن أمر مهم. وإضافة إلى مواقف للموظفين والزوار، من المفترض ان يكون موقف السيارات متاحًا أيضًا لـ:

- الأجهزة الأمنية.
- مقدمي الخدمات الخارجيين: أطباء، ممرضين، عمال صيانة...
- المركبات الرسمية مثل شاحنات النقل وسيارات دورية.
- الزوار الرسميين: المحامين، القضاة، المدعين العامين...

■ عدد مواقف السيارات

أحد الاعتبارات الرئيسية في تحديد احتياجات مواقف السيارات هو ما إذا كان يمكن أن تكون كلها في منطقة كبيرة واحدة أو في مناطق متعددة. الميزة الرئيسية لمنطقة وقوف السيارات الكبيرة هي أنه خلال فترة الذروة، مثل تلك التي تحدث عند تغيير نوبات الموظفين وأثناء الزيارات، يمكن استيعاب المركبات الإضافية بشكل أفضل. الميزة الأساسية لمناطق وقوف السيارات المتعددة هي أنه يمكن توفير مواقف مؤمنة لسيارات الموظفين والمركبات الرسمية، وقد يكون من المرغوب إنشاء موقف منفصل لضباط الاعتقال بالقرب من منطقة الحجز وبالقرب من المكان الذي يمكنهم فيه إعادة الدخول إلى المنشأة لإكمال أي عمل متعلق بالاعتقال (على سبيل المثال، تقديم تقارير أو أدلة، التصرف في ممتلكات النزيل).

■ إجمالي مساحة الموقع

إجمالي المساحة المطلوبة للموقع هو مجموع العناصر التي تمت مناقشتها أعلاه:

حجم الموقع = مساحة البناء + منطقة توسعة المبنى + مواقف سيارات وتوسعة مواقف سيارات + مساحات خارجية + مناطق الوصول للمشي والقيادة + مناطق عناصر الدعم.

مكان الموقع

من المهم ان يلبي موقع السجن الاهتمامات الرئيسية التالية: الروابط، المحيط، جهات النظر والاتصال بالنزيل، ومواقع السجون الحالية، والمتطلبات التقنية.

■ الروابط linkage

عند تحديد مكان السجن، من المفترض استيفاء العديد من العلاقات أو «الروابط» المهمة. من المهم أن يتم تصميم السجن مع الوعي بالعلاقة أو احتياجات القرب إلى:

- المحاكم: قد يكون الحفاظ على تنقل فعال وآمن للسجناء بين السجن والمحاكم الرابط الأكثر أهمية.
- وكالات انفاذ القانون: تشمل هذه التحقيقات والاستجواب وتبادل الموظفين.
- الخدمات: قد يكون من المرغوب فيه أن يكون السجن مناسبًا للمحامين ومركز الرعاية الصحية والموارد التعليمية ومنازل الموظفين. إلى ذلك، يعد القرب من موارد الطوارئ مثل إدارة الإطفاء ومرافق الطوارئ الطبية امرًا مهمًا.
- النقل: يفترض أن يكون السجن سهل الوصول إليه لجميع الموظفين العاملين في المنشأة وكذلك للزوار وغيرهم، فالقرب من النقل العام في المنطقة مرغوب فيه.

> يعدّ التحكّم في جهات النظر والاتصال بين النزلاء وافراد المنطقة المحيطة احد الاعتبارات المهمة في اختيار الموقع وتصميم السجن

■ المحيط

من المهم أن يقع السجن في محيط مناسب. أفضل المواقع تقع في المناطق الحكومية أو الصناعية الخفيفة أو التجارية.

■ جهات النظر والاتصال بالنزيل

يعتبر التحكم في جهات النظر والاتصال بين النزلاء وأفراد المنطقة المحيطة أحد الاعتبارات المهمة في اختيار الموقع وتصميمه. يفترض ان يكون المبنى محاطاً من الخارج بجدارين من الباطون المسلح ويوجد على كل زاوية برج مرتفع وضخم للمراقبة. على الجدارين تُزرع كاميرات المراقبة، وكاميرات الاشعة تحت الحمراء (infrared) للمراقبة الليلية، ومن أعلى الجدارين يُزرع السياج الحديدي والانارة الضخمة.

طريقة المراقبة / الإشراف

■ الإشراف المباشر

في هذه الطريقة، لا توجد حواجز تفصل الموظفين عن النزلاء. يتم تعيين موظفي السجن باستمرار داخل كل وحدة سكنية على اتصال مباشر مع النزلاء.

■ المراقبة المتقطعة

بهذه الطريقة، يتم نشر الموظفين في منطقة مختلفة من السجن عن النزلاء، وبالتالي، لا يكون لديهم سوى اتصال دوري متقطع معهم، عادة لمدة دقائق، أو حتى ثوانٍ، في كل مرة.

■ المراقبة عن بعد

عن طريق محطة تحكم مركزية أو رئيسية يتم التحكم فيها باستمرار من قبل موظفي السجن. الموظف خارج الوحدات السكنية وليس بالداخل - أي بعيدًا عن النزلاء. في هذا الترتيب، يكون الموظفون دائمًا قادرين على النظر مباشرة إلى الوحدات السكنية للنزلاء أو مناطق النشاط ويمكنهم الحفاظ على مستوى ثابت من المراقبة.

الحل ليس بزيادة السجون

حل المشكلة لن يكون من خلال بناء سجون جديدة تضاف الى السجون الحالية، بل ببناء سجون جديدة محلها أو تحسين اوضاع السجون الحالية، واعتماد سياسات إصلاحية وتأهيلية لتصحيح السلوك الجنائي. وكانت رئاسة الحكومة شكّلت عام 2009 لجنة لتحديد المعايير لبناء السجون بهدف بناء أربعة سجون جديدة في الشمال والجنوب وبعلبك والبقاع. علماً أن هذه اللجنة كانت قد اتمت مهمتها منذ عام 2010، بعد تقييم احتياجات السجون وتبادل خبرات مع بلاد اجنبية، ورزّدت مجلس الانماء والاعمار بالمعايير والشروط المفروض الالتزام بها لبناء السجون الجديدة. غير انه حتى الآن لم يتم بناء أي سجن جديد.

نحتاج الى قانون حديث

السجون في لبنان لم تُبنَ لتكون سجوناً، باستثناء سجن رومية المركزي الذي لم يعد يتناسب مع مرسوم تنظيم السجون 14310. فسائر السجون موجودة إما في مراكز عسكرية، او في قصور العدل، او في مستودعات، فيما عُدلت الوجهة الأصلية للعديد من المباني والمنشآت لاستعمالها كسجون، كالمبنى التراثي في صور الذي يفترض استخدامه كمرفق سياحي جاذب للزوار، وإسطبل الأحصنة في طرابلس الذي أضحى سجن القبة. من جهة أخرى، لم تعد مواد مرسوم تنظيم السجون الصادر عام 1949 تتلاءم مع المستجدّات التي طرأت على المجتمع وعلى الجريمة، إضافة الى افتقاره الشروط الهندسية التي تشكل المطالب الأساسية لبناء سجن آمن وصحي وانساني، والذي يؤدي دوره وهدفه الأساسي في تصحيح السلوك الجنائي وحماية المجتمع واحقاق الحق. لذا، لا بد من وضع قانون تنظيم جديد للسجون وإجراء التغييرات والتعديلات بشكل دوري وفقًا للأوضاع المتغيرة.

فصل السجناء

بناءً على المخاطر والحاجة أو الأسباب القانونية، يأخذ التصميم المعماري في الاعتبار فصل النزلاء ضمن «خطّة إسكان النزيل»:

- ذكور / إناث / متحولون جنسيا.
- البالغون / الأحداث.
- النزلاء من ذوي الاحتياجات الخاصة، مثل أولئك الذين يعانون من أمراض معدية أو مشاكل صحية عقلية حادة (بما في ذلك التفكير في الانتحار والإعاقات التنموية أو الجسدية).
- التوقيف الاحتياطي.
- النزلاء الذين لديهم خبرة سابقة في السجن.
- النزلاء الذين لديهم تاريخ من السلوك العدواني.
- النزلاء الذين لديهم تاريخ من الهروب.
- الجرائم العنيفة.
- جرائم المخدرات أو الكحول.
- المفترسون الجنسيون.
- النزلاء تحت العلاج الطبي.
- أعضاء العصابات...

فصل الصوت

عادةً ما يكون الفصل الكلي للصوت مطلوبًا بين الرجال والنساء وبين الأحداث والبالغين. قد يكون من المرغوب أيضًا الفصل الكامل للصوت بين النزلاء المضطربين عقليًا. فيمكن إدارة أصوات المحادثة عن طريق استخدام أقسام صلبة ومعزولة بين المناطق المجاورة. يمكن أيضًا أن ينتقل الصوت من خلال كسوة السقف، ومجاري الهواء، والمنافذ الكهربائية الموضوعة متتالية بين منطقتين. وبالتالي، فإن المراجعة الدقيقة لهذه التفاصيل مطلوبة لمنع نقل الصوت غير المرغوب فيه، خاصةً للمجموعات العالية الأمان.

حكايات «الزنازين» في الوطن العربي لا تنتهي. قصص من خلف القضبان تبهر كل من يسمعها. قد تفتخر الممالك والجمهوريات العربية بالسجون. إذ يأخذ «الحبس» حيّزاً كبيراً من حياتنا كعرب، فأين السينما العربية منه؟

خلف قضبان السجون العربية

كاميرات بلا عدسة

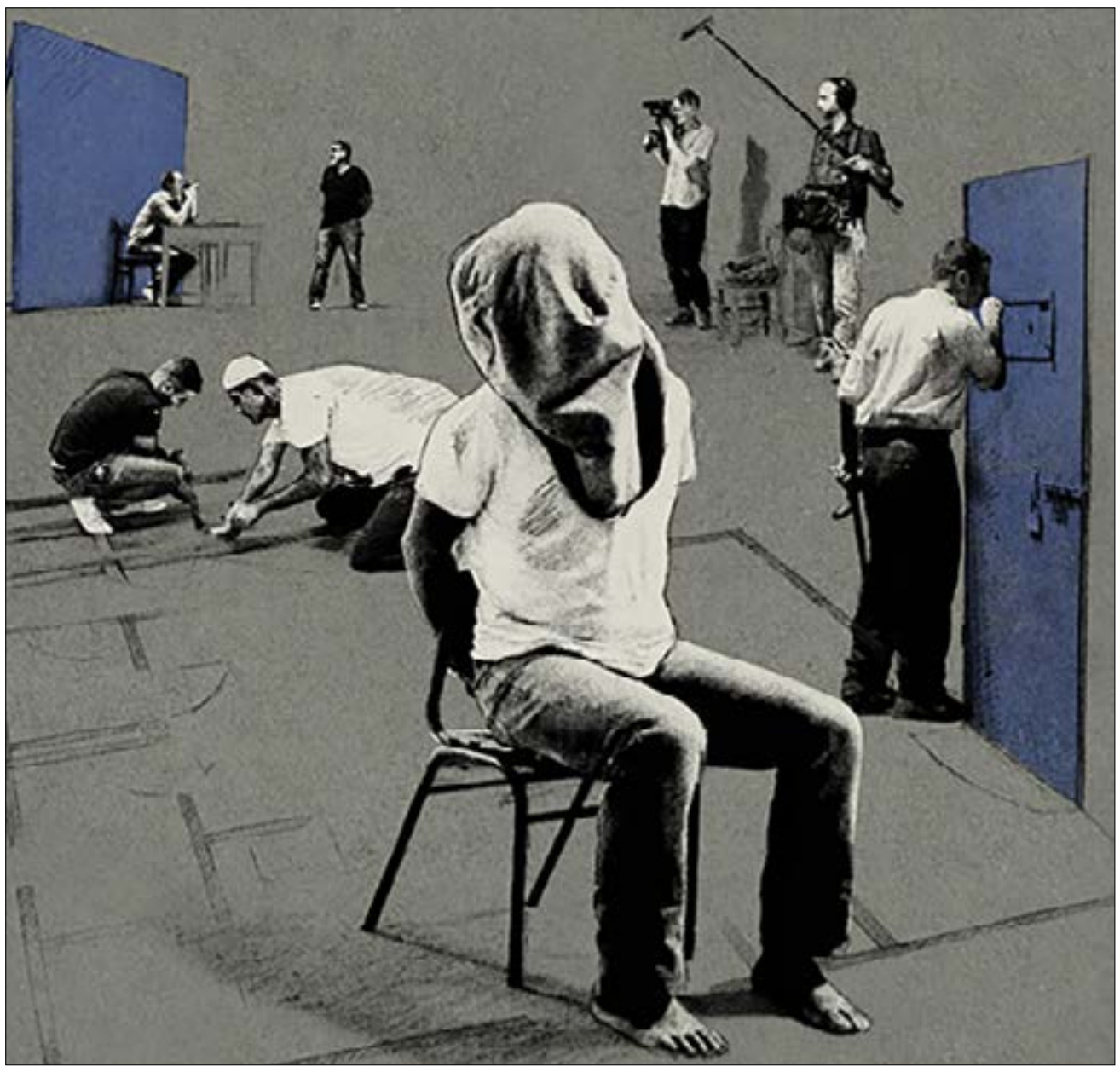

من فيلم اصطياد الاشباح

■ شفيق طبارة

غالباً ما تعتبر الأفلام الروائية حول السجون فرعاً من أفلام العصابات والجرائم، ونقيضها في نواح كثيرة. تركز أفلام السجون على شخصيات سقطت وسجنت وتسعى للخلاص. وهي تدور، في جوهرها، حول الحفاظ على الذات في ظل سلطة السجن، وتعرض الحياة داخل هذا العالم المغلق والمصغر، وتتعامل مع موضوعات إنسانية أساسية كالحرية والسلطة والعدالة والقانون والرحمة، وتجبرنا على الشعور بمخاوف تثيرها داخلنا، من بينها فقدان الاستقلالية، الشعور بالملل والفوضى، العنف بين النزلاء، تعسف حراس السجن، تلاشي الذكورة والانوثة، الحرمان من الحياة الجنسية والضعف المستمر للصحة العقلية. أما الأفلام الوثائقية، فهي عين واقعية داخل هذه الجدران. وبالواقعية، هنا، لا نعني الحقيقة، لأن الكاميرا تنقل في النهاية رؤية المخرج، ووضع الكاميرا في مكان محدد ينقل وجهة نظر من وضعها.

بالعودة إلى عالمنا العربي، التنقيب في هذا المكان الصغير جاء من أجل الدراما والكوميديا والسخرية والاثارة، ومعظم الأفلام الروائية لم تكن لأولئك الذين يقبعون داخل هذه الجدران، بل صندوق فرجة لمن هم خارجها.

مواضيع السجون جاءت على شكل موضة سينمائية، فضلاً عن تناول معظمها لهذه القضايا بسطحية، بما فيها الأفلام الوثائقية. سينما السجون العربية هي سينما سياسية لا إنسانية، وأكثرية الأفلام الوثائقية العربية التي تتحدث عن السجون (لا نجمل هنا أفلام السجون والمعتقلين في فلسطين)، تفوح منها رائحة أموال «الرجل الأبيض»، وهي بمثابة تصفية حساب مع سلطة أو فضح أنظمة سياسية أو التركيز على قمع نظام ما، من دون الاهتمام بالقابعين خلف القضبان الذين يصوَّرون بمعظمهم كمساجين سياسيين.

لعبت السجون دوراً كبيراً في حكايات السينما المصرية، في أفلام درامية أو كوميدية وحتى رومانسية، منها «30 يوم في السجن» (1966)، «سجن أبو زعبل» (1957)، «الكرنك» (1975)، «حب في الزنزانة» (1983). أما الأفلام الوثائقية التي صنعت في مصر فكان معظمها لفضح أنظمة قديمة أو جديدة، مثل «سجن العقرب مقبرة الاحياء» أو «موت في الزنزانة».

«الغرفة السوداء» للمخرج المغربي حسن بنجلون، من أهم الأفلام المغربية التي تطرقت إلى موضوع السجون، وهو مقتبس من قصة حقيقية عن المعتقل السياسي السابق جواد مديوش. يركز الفيلم على معتقل «درب مولاي الشريف» الذي مورست فيه في السبعينيان شتى صنوف التعذيب على معتقلين كانوا ينتمون إلى الحركة الماركسية اللينينية. أما آخر الأفلام فهو فيلم «قبل زحف الظلام» للمغربي علي الصافي الذي أعادنا إلى السبعينيات، وإلى «سنوات الرصاص» التي شهدت صراعات واحلاماً جماعية للتغيير. كثيرون ممن تعرّفنا إليهم في الفيلم انتهى بهم المطاف في السجن أو الاختفاء بلا أثر. «قبل زحف الظلام» مكرس لضحايا الرقابة والقمع من الفنانين والمنتمين إلى الحركات الماركسية التي اعتبرت السينما أداة توعية لاكتشاف الذات.

السينما اللبنانية لم تتطرق كثيراً إلى السجون والمساجين. مصممة الصوت المخرجة اللبنانية رنا عيد تطرقت في فيلمها «بانوبتيك» إلى نظارة الأجانب المخالفين في بيروت، وكذلك فعلت نادين لبكي في فيلمها «كفرناحوم»، ولكن بطريقة مختلفة. صوّرت عيد المساجين بواقعية، وقدّمت لبكي النظارة كأنها فندق للاستجمام. يبقى أن أهم تجربة عن السجون للمخرجة زينة دكاش من خلال ثلاثة أفلام وثائقية («12 لبناني غاضب»، «يوميات شهرزاد»، و«السجناء الزرق»)، فيما لم نشهد فيلماً سينمائياً واحداً عن عن معتقل الخيام، أهم السجون في لبنان وأبرز شاهد على غطرسة الاحتلال الإسرائيلي، باستثناء افلام تلفزيونية أو تقارير إخبارية طويلة.

عام 2017، فاز الفيلم الفلسطيني «اصطياد الاشباح»، للمخرج رائد أنضوني، بجائزة الدب الفضي لأفضل فيلم وثائقي. الشريط التجريبي للممثل والمخرج يمكن ادراجه في إطار الـ«ديكودراما»، وفيه يحاول رجال فلسطينيون كانوا اسرى في سجون الاحتلال التعامل مع الصدمة وعلاجها من خلال إعادة تمثيل قصص اسرهم وتعذيبهم.

قبل ذلك بسنتين، قدمت المخرجة الفلسطينية مي مصري فيلمها الروائي الأول «3000 ليلة» الذي يروي قصة شابة فلسطينية تعتقلها قوات الاحتلال الإسرائيلي في نابلس، تُحكم بالسجن ثماني سنوات وتنقل إلى سجن إسرائيلي شديد الحراسة لتقيم مع مجموعة من السجينات الفلسطينيات والإسرائيليات. وسرعان ما نكتشف انها حامل وأنها ستلد داخل السجن. وفيما تقاتل من أجل سلامة الطفل الذي لم يولد بعد، يضغط عليها مديرو السجن للتجسس على زميلاتها الفلسطينيات، لتقع الشابة في صراع المفاضلة بين حقوقها الأساسية وحقوق زميلاتها. قبل الفيلم اجرت مصري كثيراً من الأبحاث وقابلت سجينات سابقات، من بينهن من أنجبن أطفالاً اثناء فترة سجنهن.

العام الماضي، أثار فيلم «أميرة»، للمخرج المصري محمد دياب، جدلاً كبيراً. يروي الفيلم قصة أميرة، الفلسطينية ابنة الـ 17 عاماً التي ولدت بواسطة عملية تهريب النطف. تعيش أميرة مع والدتها وردة وعائلة أبيها نوّار الأسير في السجون الإسرائيلية. زوج وردة لم يلمسها قط، ولا تراه، هي وابنته، إلا من خلف الزجاج خلال الزيارات العائلية. كل شيء يبدو طبيعياً إلى أن يطلب نوّار من وردة أن تحمل مجدداً بواسطة تهريب النطف. تنجح عملية التهريب، لكن يكتشف الأطباء أن النطفة هي لشخص عقيم لا يمكنه الانجاب إطلاقاً، ما يثير شكوك أميرة وعائلة أبيها في سلوك الأم، فتبدأ عملية مطابقة للبصمة الوراثية مع جميع المحيطين بالزوجة، لكن من دون جدوى. تواصل أميرة عملية البحث عن والدها البيولوجي إلى أن تصل إلى قناعة بأن حارس السجن الإسرائيلي الذي هرّب النطفة التي من خلالها أتت إلى الحياة استبدلها بنطفة منه.

المخرجة رنا عيد تطرقت في فيلمها «بانوبتيك» إلى نظارة الأجانب المخالفين في بيروت وكذلك فعلت نادين لبكي في فيلمها «كفرناحوم»

«هيئة شؤون الاسرى والمحررين» و«نادي الأسير الفلسطيني» و«الهيئة العليا لمتابعة شؤون الاسرى» طالبت بوقف عرض الفيلم الذي أدت الضغوط والحملات إلى منعه من العرض، قبل أن يسحبه الأردن من سباق الاوسكار. قضية الاسرى جرح إنساني وسياسي ونضالي حساس، فهل يجوز «التلاعب» به فنياً لضرورات التشويق والاثارة؟

هناك عبارة تنسب إلى فيودور دوستويفسكي تقول «يمكن الحكم على درجة الحضارة في المجتمع من خلال دخول سجونه». ويتفق نيلسون مانديلا مع هذه العبارة بقوله: «لا أحد يعرف حقاً أمة حتى يكون داخل أحد سجونها. يجب ألا يتم الحكم على الامة من خلال معاملتها لأعلى مواطنيها، بل عبر معاملتها لأقل مواطنيها». السينما العربية لم تدخل سجوننا، ولم نعرف حضارتنا وتاريخنا من خلال سجوننا. انحطاط سجوننا يشبه هزائمنا المتكررة، فلم نعرف كيف نصور السجون ولا السجناء، ولم نتعلم عدم تصويرهم كبشر، ولا توجد كاميرا ترينا كيف يعيش مسجونونا لنعرف مستوى حضارتنا.

القوس
■ فريق التحرير: عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، شفيق طبارة
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: رامي عليّان
alqaous alqaous22 al_qaous alqaous 01/34 99 54
www.alqaous.com info@alqaous.com